

ذكر الخبر عن سيرة المنصور في ترتيب جيوشه

وتعية جنوده

قال الفشتالي كانت السيرة على عهد ابي عبد الله محمد الشيخ المهدي وولده الغالب وولده المتوكل سيرة العرب في الجيش من الماكل والملبس وغير ذلك ولما ولي المعتصم حمل الناس على السيرة العجمية وجنح اليها في سائر شئونه لما رأى منها في بلاد الترك حيث كان بها فكره الناس ذلك وابقوا منه وقوفاً مع العوائد فلما جاء الله بالمنصور ألف بين سيرة العرب والعجم واصطفى من العجم موالى ورباهم بنعمته واشمل لهم درر احسانه منهم مصطفى باي ومعناه بلغة الاتراك قائد القواد ويختص به قائد الاصباحية وكان يرسم حراسة الباب العلى ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار بيده مناتيج بيوت المال ومنهم القائد العالوج قائد جيش العالوج ومنهم الباشا جودر فاتح السودان وهو قائد جيش الاندلس وكان لاهل الاندلس جيش عظيم رماة ومنهم عمر قائد جيش السوس فهؤلاء اكابر العالوج وتليهم طائفة اخرى منها بجتيار وبنى ثم ان جيش العجم من الاتراك والعالوج قسمه الى اقسام منها البياك وهم اهل القلانص الصفريّة المذهبة ذوات الاعراق من ريش النعام المساون يقفون سمطين امام قبة او فسطاطه والسلاق اهل القلانص الطويلة المسبولة على المناكب ويناط بها من اعلا الجباه جعاب صفر مذهبة ويزيدون عند الحزام باجنحة طوال يربعونها ايضاً من ريش النعام الباقي على اصل خلقته ويركزون به الجعاب النوطة بالقلانص من اعلا الجباه ويرسلونها الى وراء يقفون هولاء خلف البياك وباردوش وهم اهل اللقاقيف وهى رماح قصيرة غليظة العصا مغطاة بالحديد مرصعة بمسامير بيض ركبت عليها اسنة

عظام وزجاج هائلة ينبت من ريشتي كل سنان منها اضلاع مستقيمة ويقف هولاء خلف السلاق والشنشيرية وهم اهل الطعام وضعا ورفعاً لا غير وقائدهم بختيار من سبي وقعة وادي الخازن والقبجية وهم اهل حفظ الابواب وغلقها وفتحها وقائدهم مولود الشاوي وطائفة من هولاء تحرس ليلاً وتطوف على مسانف السور المحيط بالدار ومن وظيفة هولاء خدمة الكرسي والسرير اللذان يجلس عليهما بالايوان وتعاهد انماط الجلوس وكنهها والشواش وهم الذين يتولون ضبط مصاف الحيوش في الحرب والسلم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير او شر قال الفشتالي وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول فاذا خرج في يوم عيد او لملاقاة او لتهنية خرجوا مترتين هكذا وكل قائد يقف عند انبعاث جيل جيشه تحت الوية مخفوف بجيش من روساء جنده اهل الحيل وهم الذين يدعون عندهم بلكباشات فاصلاً بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه قال الفشتالي والترتيب الذي جرى به العمل في عسكر الناس ان يتقدم أولاً جيوش السوس ثم يردفه جيش شراقة وكل منهما ينقسم جيلين ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي العلوج ومن انضاف اليهم وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل زمريتهم وهذان يسيان صفين متوالين لاستواء مرتبتهما وعند العطاة تارة يتقدم هولاء وتارة هولاء غير ان الموالي يكونون في المينة لمزية الولاء وكلاهما يحظى بموالة ركابه ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالي وجودر قائد الاندلس وترفع على راس كل منهما الرايات ويحفه عسكر من بلكباشات ثم تتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المولفة بين البياك والسلاق وبليردوش تسير الفرق الثلاثة امام المنصور صفوفاً متوالية فاما البياك فيلون ركابه يحفون به يمينا وشمالاً ويرفع لبعض رماحه اليزنية المنصوبة امامه ومنهم صاحب المظلل المرفوع على راسه كالغمامة يحمله حالة ركوبه اقربهم درجة لقائدهم ابرويز واذا مشى للمسجد لجامع المنصور من جهة قبور الاشراف او للمشتبهى على رجله حمله ابرويز بنفسه ثم يسير عن يمينهم وشمالهم السلاق

ويسير عن يمين هولاء وشمالهم بلبردروش اهل اللقايف وتتكيف من الجميع صورة تزرع في القلوب الرعب وتسير النجائب فيما بين سماطى هذه الدخلة مجنوبة صفّاً صفّاً الى الوية عساكر النار يقودها صنف يدعون السراجة ركباً وكانت نجائب الحلفاء يقودها الرجالة من الوزغة وهذا اكل مزية وجيش الاصباحية الذي لنظر باى لاربى ينقسم الى كتيبتين عظيمتين يسير احدها ذات اليمين والاخرى ذات الشمال امام الركب مرفع اللواء العظيم الابيض المدعو باللواء المنصور علامة على شعار الدولة على راس المنصور يسامت من خلفه وهناك الوية كثيرة ذات الوان مختلفة وامامه الطبل العظيم الذي يسمع دويّه من مسافة بعيدة ومن خلفه الطبول الاخرى معها الغيطات واحدها غيطة يتولّى النفخ فيها قوم من العجم اساتيد يتعلمونها فينفخون فيها فتنت منها اصوات والحن لا تحرك الطبع ولا تبعثه على شئ دون الحرب فانها تشجع الحيل وتقوي جاش الحائف حكمة فيلسوفية وهناك مزامير اخرى وجعاب طوال صفريّة على مقدار النغير تسمى الطربنطة تما احدها ايضاً في دولته وزادت به دولته على غيرها فخماً وضخامةً ويردف خلف هذه الالوية والالة من خلف امير المؤمنين في موكب عظيم فهذا ترتيب جيش المنصور باختصار كثير من مناهل الصفا . وذكر بعضهم ان المظلة التي وصفناها تكون فوق راس المنصور هو من محدثات ملوك الدولة والذي اعرفه من كتب التاريخ انها كانت من قديم ففي ابن خلكان في ترجمة يعقوب وزير العزيز بن تار انه لما توفي خرج العزيز لجنازته وعليه الحزن وركب بغلته بغير المظلة وكانت عادة لا يركب الا بها . ولعل الملوك السعديين اول من استحدثها بالمغرب والله اعلم وما ذكره الفشتالي من توافر جنود المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك وقد ولعت العامة في ذلك باخبار واهية وزعموا ان المنصور خرج مرة للرميلة بظاهر مراكش ولم يعلم اصحابه بخروجه فحين علموا بخروجه تبعوه خفافاً وثقالاً فامر بعد ما معه هنالك من الجيش فوجد ثمانين الفاً فقال

يا سبحان الله قد خاطرنا بنفوسنا حيث ركبنا في هذا العدد لقلته ولا يخفى ما في هذا الكلام من الهذيان والزيادة والذي ذكره الشيخ ابو العباس احمد افقاي الاندلسي في كتابه المسمى برحلة الشهاب الى لقاء الاحباب ما معناه قال ان جزيرة الاندلس استردادها من ايدي الكفرة سهل واسترجاعها منهم قريب ولما دخلت أيام المنصور مرآكش وجدت عنده من الخيل نحو ستة وعشرين ألفاً فلو تحركت همته لفتحها لاستولى عليها في الحين انتهى بالمعنى ونقلته من حفظي وكذلك انقال هذا الكتاب كلها من حفظي والله وليّ التوفيق

ذكر الخبر عن طرف من شجاعته وحزمه

وضبطه وشهامته

كان المنصور رحمه الله شجاعاً بطلاً مقدماً لا يكثرث الآ بالشجعان والابطال ولا يصطلى الآ بنار الطعان والنزال وله بصيرة بمكائد الحروب وخدع القتال وقد انشده وزيره ابو الحسن علي بن منصور الشياظمي في بعض معاركه مع المتوكل بيتي الكاتب ابي عبد الله محمد بن عيسى فيه

هو الغيث ثم البحر في الجود والندا وليث اذا جد الطعان هصور
يفوق السهام عزمه وانبعاته ويقصر عنه في الثبات بشير

فاجابه المنصور بيتي ابي فارس

ونحن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين او القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسنة لم يغله المهر

ومن حزمه أنه كان متطّلعاً لاخبار النواحي باحثاً عن الانباء غير مترخ في قراءة ما يرد عليه من رسائل عمّاله ولا يبطئ بالجواب ويقول كل شيء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال عن رسائلهم وكان الكتاب لا يفارقون مرأكزهم الا في اوقات مخصوصة قال الفشتالي ولقد كنا بالباب يوماً يعني معشر الكتاب قبل ان يخرج علينا المنصور فورد النذير على الكاتب البليغ ابي عبد الله سيدي محمد بن علي الفشتالي بأن ولداً له في النزاع فلم يملك نفسه ان ذهب لداره فخرج المنصور على اثر ذلك فسأل عنه ف قيل أنه ذهب لداره فاستشاط له غضباً وبعث وراءه فجيء به مزعجاً وما شككنا في عقوبته فلما مثل بين يديه قال له ما ذهب بك فذكر له عذر ولده وأنه اشتدّ به المرض ولم ينجح فيه دواء الاطباء فرق له وقال له ان امراض الصبيان لم ينجح فيها الا طبّ العجائز ولا كعجائز دارنا فابعث من يسألهم ومن حزمه أنه اخترع اشكلاً من الحطّ على عدد حروف المعجم يكتب بها ما يريد الا يطلع عليه احد يمزج بها الحطّ المتعارف فيصير الكتاب مغلقاً اذا سقط او ضاع او وقع في يد عدوّ لم يدر ما فيه ولم يعرف معنى ما اشتمل عليه فكان اذا خرج احد من اولاده او عمّاله ناوله خطاً من تلك الخطوط يفكّ بها رسائل امير المؤمنين اليه ويكتب عنوانه كذلك ومن ضبطه أنه تعلّم الحطّ المشرقي فكان يكتب به علماء المشرق كتابة كاحسن ما يوجد في خطّ المشاركة وما وقع له في ذلك أنه بعث بطاقة بخطّ يده بالخطّ المشرقي لكاتبه ابي عبد الله محمد بن عيسى يستدعي منه كتاباً فبعثه اليه ابن عيسى الكاتب المذكور صحبة هذين البيتين

سقتي كاس السرور دهاقا	خطوط اتنى في مهرق
رات كفّ احمد في المغرب	بحرا فجاءت اليه من المشرق

ذكر هيئته في السفر وحالته فيه

وما يناسب ذلك

قال صاحب زهرة الشماريح أنّ المنصور كان قليل الاسفار وأما سافر
لفاس مرتين لا غير وكان متفرغاً للذاته مكباً على شهواته أيام خلافته . وبه
يعلم ما شاع على اللسان أنّه يمكث بفاس ستة اشهر وبمراكس مثلها ليس
بصحيح والله اعلم وكان المنصور اذا سافر استعد غاية الاستعداد واحسن في
الهيئة والتعداد قال صاحب النفحة المسكية كان له قصر من عود مسمر بمسامير
وحلق ومخاطيف وصفائح مفضضة على هيئة عظيمة وقد احدث بذلك كله
سرادق كالسور نسيج كتان كانه حديقة بستان او زخرفة بستان وفي داخلها
القباب الملونة من حمراء وسوداء وخضراء وبيضاء كأنها ازاهير الرياض قد نقش
ذلك احسن النقش وملئ بابهي الفرش والسرادق الذي هو كالسور ابواب
كأنها ابواب مشيدة القصور يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم ينتهي منها الى القصر
الذي فيه القباب والقصر كانه مدينة يتقل بانتقاله وهو من الابهات الملوكة
التي لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين ، وهذا السرادق يسمى بالسياج وفيه
يقول العالم الامام الاكبر مفتي الحضرة ابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف
والكاتب الارفع البارع ابو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي قال في
مناهل الصفا خرج المنصور لزيارة ضرائح الصلحاء باغمات فتأخرت ورائه فاحقني
ابو مالك المذكور وانا في اخريات الناس فقال لي

ابا فارس بان الخليط وودعوا فقلت وولّوا وحسن الصبر متى شبعوا

فقال وخرّدت حادي البين وانشقت العصا فقلت وكاد فؤادي للنوى ينقطع

فقال الى الله اشكو ذرفة منهم وقد فقلت تجرعت من كأس النوى ما تجرّعوا
فقال لئن شرد السلوان عني بعدهم فقلت فني صحبة المنصور انسى الجمع
فقال ندور عليه هالة لقبابه فقلت ومركزها قصر الخلافة بلع
فقال اساج بها بحر النداء متموج فقلت ومن افقه شمس الامانة تطلع

وكان المنصور خرج لزيارة رجال اغمات في شارة حسنة فلما بلغ اغمات مكث فيه يومين وفي اليوم الثالث خرج لزيارة الامام ابي عبد الله الهزميري وعاج على طريق الشيخ سيدي عبد المجيد ووقف عند الحيانة الكبرى فدعا ما تيسر وفرق مالا على ذوي الحاجات على يد ابي القاسم الشاطبي والفقير الامين علي بن سليمان التاملي وكان معه الفقيه القاضي ابو مالك عبد الواحد الحميدي استقدمه من فاس برسم القراءة معه وكان الحميدي لودعياً خفيف الروح وفي هذه السفارة صدرت من الحميدي الابيات التي تباري في معارضتها فقهاء الدولة وشعراؤها وذلك ان الفقيه الفاضل الكاتب ابا زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الغنابي بعث بكبش سمين وعسل للقاضي الحميدي تحفة فكتب مداعباً بهذه الابيات

اياك تب السرى يا من بدت	محاسنه في الورى باهره
هديت الي النشفا وصلة	فاكرم بها منحة ظاهره
وكبشاً سميناً له كلوة	تفوق الكلا نعمة زاهره
فلا زلت تثبت كتب الانام	رسوماً لاعدائه قاهره

وقال ابو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي

البحر معلوم طغت زاحرة وشمس معارفها الباهره

لك العفو فضلاً فقد أصبحت كتاب نظمكم نأثره
وهزت صوارم ابداعها فصلت بها صولة قاهره
بقيت تشنّ بها غارة لنشر امثالك السائر

وقال ابو عبد الله محمد بن عليّ الفشتاليّ

نسجت ابا مالك حلة - بصنعا افكارك الحاضره
واجريت ماء البديع الى رياض فكاهتك الساحره
واخفيت قيد المعاني على مواكب اغراضك الظافره
عيون البيان ولاكنها لغير النّهي لم تكن ناظره
فخذها بديهة من قدغدت وجوه فصاحته سافره

وقال ابو مالك سيدي عبد الواحد بن احمد الشريف

اشيخ الجماعة يا قطبها ومن في العلا مركز الدائره
شنت باياتكم غارة واحيت لي همة غابره
وذكرتني مربعا لم تزل مقبلاً به مقلتي ساهره
وحركت فكري بعلم غدت بصدري مراسمه دائره
فهذا جواب لايياتكم الى ابن بدور العلا السافره
سليل الافاضل حقاً ومن محاسنه في الوري ظاهره

وقال الكاتب ابو عبد الله محمد بن عمر الشاويّ

احيي رسوم القضا الدائرة وانسان مقلته الساهره

ومطلع شمس المعارف من مغاربها حكمة ظاهره
وبحور العلوم التي اوجبت له العز والفخر في الاخره
وقاضى عساكر ملك غدت لاختصه السبع كالسائر
ودانت له الارض طولاً وعرضاً فارسل املاكها سائر
الى بابه تبغى وطئة وامناً لسطوته القاهره
كفالك افتخاراً ابا مالك حضورك ايامه الزاهره

وقال ابو على الحسن بن عبد الكريم

اشيخ العلوم التي قد سرت بدائع اياته السائر
طلعت وكنت كنجم الصباح وسدت باخلاقك العاظمه
اذا ما نويتم طلاب العلا فكل المعالي لكم سافر
اتنى بالامس اياتكم رياض المعاني بها زاهر
فاشعاركم ذكر عبد المجيد وانحت فصاحته دائره
فاو مد في عمر البحتري لا عجب من فطنة باهره
علوت وفقت قضاة الورا فدم هكذا مركز الدائر

وقال الكاتب ابو عبد الله محمد بن على الهوزالي المعروف بالثابته

ايا تحفة الدهر يا ناظرة وطرفة ايامه الساهر
وبدر العلوم التي قد نضت دحي الجهل انواره الباهر
ومن كرعت في حياض المعاني له فطنة بالذكا ساحره
انظمتك ام قرقف بأبلى ولفظك ام نفثه الساحره
تعلل ارواحنا مدعسا بارواح روضتك الزاهر

ام دارنا قد سرى موهنا ام ارتاح اخلاقك العاطره
فككتم به من اسار العدا قيودا بارجائها دائره
فلا زلت يا شيخنا يهدا بنورك في الليلة الساهره

وقال القائد الوزير الفقيه ابو الحسن علي بن منصور الشياظمي

ايا علم العلم يا ناشره وحامل رايته الظافره
وقاضى القضاة التي فاخرت به الشرق مغربنا الظاهره
وناظم عقد المعاني التي جرت دونها المثل السائره
واجرت بفعل الطلافي النهى كذا بشذا الروضة الزاهره
وظلت تردد حسن الشا ترويه عن نفسك الطاهره
واخلاقك العز لا قصرت عن التدر بالدرر الفاخره
وايقظت عمداً عيون البيا ن من كل فتانة ساحره
تشير بمعنى لطيف الى محاسن اخلاقك الباهره
وثبت سحر البلاغة في مهراق ظلت لكم شاكره
رويدك نبهت سرب المعاني بعيد الكرا فاهتدت حاضره
ونبهتكم من بليغ بنا حديد الذكا نافذ الباصره
يطبق منها الفاصل غي ر هيبا ذى قرى ظاهره
تصرف اقلامه بالكلام كما الريح بالمزنة الماطره
ولولا المضاء بلا نبوة لشبهتها بالظبا الفاتره
فلله درك من ماجد محاسنه حجة وافره
ومن سيد جامع للذكا حلو الشمائل والنادره

ذكر الخبر عن طرف جوده وسماحته وقصد الناس له

من الاصقاع البعيدة

كان المنصور رحمه الله سخي النفس جواد الطبع لا يبالي بما يجود به ويعطى عطاء من لا يخاف الفقر قال الفشتالي وكان الشيخ علم الاعلام ابو العباس احمد بن علي المنجور يقول ما عهدنا بذل المئين في الصلات الا في ايام الشرفاء ولا عهدنا بذل الالوف الا في ايام المنصور وقال في المنتقى ان المنصور وهب ازيد من الالف كما وقع له مع الكاتب البارع ابي عبد الله محمد بن عمر الشاوي المعروف بالجزائري وكان قديم الصحبة للمعتصم واغترب معه في بلاد الجزائر مدةً مديدةً وسنين عديدةً فلما افضت الخلافة للمنصور سوّغه مغارم مسفیوة بمداشرها مكافاة على الهجرة الا ان المنصور استثنى اعشاراً لزيت فكتب له ابن عمر بابيات ليشملها العطاء فاعطاها له ايضاً فكان يبيع بها بالالاف من العين وهذه الابيات التي كتب بها اليه

اجر الندا خير الملوك سجيّة	وافضل سلطان رقي فوق منبر
لقد سرت في الاسلام احسن سيرة	وخصّصت بالنصر العزيز الموزر
امولاي لاحظني بجودك اتني	فقير نوال من لدنك موفر
فهذا زمان الزيت قد جاء مقبلا	ولي رغبة فيه بغير تنكر
فنها اشتعالي في الدجا وتطبي	ودهن طعام ثم منها تعطر
لاني بليد الطبع اشتاق ريحها	ففي الزيت يامولاي مسكى وعنبري

ومن جوده انه اعطى لاشريف الاديب ابي الفضل المعروف بابن العقاد المكي

نحو اربعة الاف اوقية دون الخلع والكسي التي كان يخلع عليه أيام الاقامة ودون الكتب التي منحه وكتب له كتاباً لحاقان ملك الاتراك يوليه خطة القضاء باليمن فنفذ ذلك خاقان كما اشتهر وكان ابن العقاد قدم من مكة وافداً وقدم بآثره امام الدين الحلي من بيت المقدس وقدم رجل اخر من اهل المدينة المشرفة المسمى الشريف قال في نفع الطيب لما اجتمع هولاء الوافدون ببابه قال له الحلي يوماً يا امير المؤمنين ان المساجد الثلاثة التي يشد اليها الرحال شد اهلها اليك الرحال هذا مكّي وذلك مدني وانا مقدسي ثم انشد

ان امير المؤمنين احمد بحر النداء وفضله لا يجحد
فطية ومكة واهلها والمسجد الاقصى بذاك يشهد

قال في المنتقى فلما بلغ الى قوله فطية ومكة اشار بيده الى كل واحد من صاحبيه الذين معه ولما بلغ الى قوله والمسجد الاقصى اشار بيده الى نفسه ثم قال نصرك الله لم يتفق لملك قصدت ايلته فتبسم لذلك ايده الله واجزل لهم في العطايا واجراء النفقة عليهم كما هو دأبه بكل وافد عليه من اي بلد كان فهمته دائماً طالبة للعلو تواخة للسمو . قال ابو زيد في فوائده امام الدين الحلي ابن الفقيه العمرابي عبد الله محمد بن يوسف البطايحي المقدسي الشافعي امام مسجد الحليل وهو الذي جال في البلاد ولقي المشايخ بمكة والمدينة ومصر والشام انتقل للقسطنطينية فسكنها مدة ومنها وفد على المنصور بالمغرب ونزل مرآكش وتارودانت وتوقى في بعض مقدماته من تارودانت لمرآكش بالطريق مقتولاً سنة تسع وتسعين وتسعمائة رحمة الله عليه ومن شعره

هو والله عفيف نزه وله عرض مصون ما اتم
وخير بمدارات الوري ومدارات الوري امر مهم

وقوله

أحقّ بالنفع في الدنيا ثمانية لا لوم في واحد منها اذا صفعنا
المستحقّ بسلطان له خطر ودخل في حديث الاثنين مندفعاً
ومتحفّ بحديث غير سامعه ودخل الدار تظيلاً بغير دعا
وطالب الخير ممن لاخلاق له وجالس مجلس عن قدره ارتفعاً
وطالب الرفق من اعدائه وكذا ضيف تأمر فاحفظها اخي لمصا

اشار بذلك لما قرأته في كتاب بستان الادب قال ثمانية ان اهيئوا فلا يلوموا
الا انفسهم من اتى مائدة لم يدع اليها والموتمر على صاحب البيت والداخل بين
اثنين في حديث لم يدخله فيه والمستحقّ بالسلطان والجالس في مجلس ليس له
باهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه منه وطالب الرفق من اعدائه وراجي
الفضل من اللئام . ومن مفادات امام الدين الخليلي ايضاً قال رفع شيخنا مفتي
المسلمين بالديار المقدسية شمس الدين محمد بن ابي اللطف سؤالاً نظماً وهو

ماذا تقول يا امام عصره يا فائقاً بالعلم اهل دهره
انت الذي قد حزت فضلاً وافرا وفاح مسك عطره من نشره
هل لبس السروال طه المصطفى وهل يسنّ لبسه لستره
ام لا وعجل بالجواب سيدي بسرعة تحظى بطول اجره

فاجابه رضى الله عنه بما نصّه

من بعد حمد الله تلو شكره على جزيل فضله وبره
مصلّياً على رسوله الذي ارسله بنهييه وامره

اقول ان المصطفى قد اشترى
كما الشموني حكى ذلك في
قالوا وما في الهدى من لباسها
ولبسه سنة ابراهيم لا
حرر هذا ابن ابي اللطف اسمه
حامداً الله مصدياً على
ذاك ولم يلبسه قط في عمره
حاشية الشفا فصن عن تكره
فذاك سبق فلم لم يدره
باس به فالبس لاجل ستره
محمد معترفاً بفقره
نيته مستغفراً من وزره

وابن العقاد المذكور هو القائل في مدح المنصور معارضاً موشحة ابن سهل
وهو هذا قوله

ليت شعري هل اروي ذا الظما
وترى عيني ربات الحمى
يدخلون السلم في دار اللوى
هد من ركن اصطباري والقوى
حين عز الوصل عن دار طوى
فمساكم ان تجودوا كرما
وتداووا قلب صب مغرما
كلما جن ظلام الغسق
واعتراني من جفام قلقي
وتناهت لوعتي من حرقى
فانعموا لي ثم جودوا لي بما
شاعة لي من رضاكم مغنا
كنت قبل اليوم في لهو وتيه
ومعى ظبي فاحدى وجتيه

من لمى ذاك الثغير الالعس
لاهيئات بقدود ميس
كلح الهجر فؤادي واسر
مبدلاً اجفان نومي بالسهر
هل عيني بدمع كالطر
بلقاكم في سواد الحنـدس
من جراحات العيون النفس
هزني الشوق اليكم شغفا
قد تذكّرت جيداً والصفـا
ثم زاد الوجد بي التلفـا
يطف نيران الجوى ذي القبس
ومداوي جثتي مع نفس
مع احبائي بسلع اللعب
مشرق الشمس واخرى مغرب

فرماني بسهام من يديه ضرب القلب بقلب متعب
لست ارجو للاقام سلماً غير مندى للامام الارئس
احمد المحمود حقاً من سما الشريف بن الشريف الكيس

ومن جوده رحمه الله انه كان يبعث للسادات البكرين بمصر محمد ابن القطب
الكبير ابي الحسن البكري مكاتبات تشاكل قطع الرياض وتحاكى بسجورها سحر
الحدق المراض ومن نظم البكري المذكور في بعض رسالاته التي كان يبعث بها
لابي العباس المنصور ما نصه

ولما نايتم ولم استطع السير لحضرتكم بالقدم
سعت اليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

وذكر صاحب الفوائد ان هذين البيتين كتب بهما المنصور لملك العجم
فاجابه بيتين وهما

فان زرتم وتفضلتم وشرفتمونا بنقل القدم
فليس بعار ولا منقص دخول الموالي بيوت الخدم

ذكر الخبر عن قراءته وعلومه واستجازته

لمحفوظه ومفهومه

قال ابن القاضى كان المنصور رحمه الله خبيراً بالعلوم متضللاً بالفنون من
شعر وتاريخ وسير ونحو ولغة وبيان ومنطق وتفسير وحديث وحساب وفرائض

وهندسة وجبر ومقابلة وتعديل السيارة وله رواية في الحديث وقال الفشتالي
 بدا قراءته القرآن على معلّم اولاد الملوك في الدولتين الاستاذ ابي عبد الله محمد
 بن يوسف الدرعيّ ثمّ قرا بعده على الفقيه الاصوليّ ابي الربيع سليمان بن
 ابراهيم ثمّ بدا الرسالة على الفقيه ابي عمران موسى الردائيّ وقراها ايضاً سرداً
 ودراية على ابي العباس المنجور وعلى ابي فارس عبد العزيز بن ابراهيم وقرا
 ايضاً علم الحساب واخذ ايضاً علم العربيّة على نحويّ زمانه ابي العباس احمد
 القدوميّ صاحب الحواشي على المراديّ واخذ اصول الدين على الامام ابي
 العباس احمد المنجور وسمع عليه مؤلفات السنوسيّ وحاشيته على الكبرى
 وشرحه الكبير والصغير على ملخص المقاصد لابن زكريّ وسمع عليه الخزرجيّة
 مرّتين ومختصر السعد على التلخيص وسمع عليه ايضاً كافيّة ابن الحاجب في
 النحو والشمسيّة في المنطق وجمع الجوامع لابن السبكيّ واجازه في كلّ ما
 تضمّنته فهرسته حسبما ذلك في اولها واخذ الفقه عن الحميديّ والمنجور واخذ
 الكتب الخمسة عن وليّ الله سيّدي رضوان بن عبد الله وعن الرجل الصالح
 سيّدي محمد بن عليّ عن العلقميّ عن الامام السيوطيّ وحضر ايضاً عند الامام
 مفتي المغرب سيّدي شقرون بن هبة الله الوهرانيّ التلمسانيّ في مجالس عديدة
 من التفسير والفقه والنحو والكلام واخذ عن الامام الصدر مفتي فاس ابي
 زكرياء يحيى السراج ورزقه الله من الفهم الثاقب ما لم يكن لغيره حتّى أنّه فهم
 كتاب اقليدس في الهندسة بغير استاذ لعدم وجوده في المغرب فكان كلّ يوم
 يفكّ شكلاً من اشكاله وله ايضاً بعض معرفة بعلم التعديل والهيئة قال الفشتاليّ
 ونقلت مقرواته المذكورة من ورقة بخطّه ورايت بخطّ الشيخ القصار ما صورته
 وقلت لما اجاز سيّدي رضوان بن عبد الله الجنويّ امير المؤمنين السلطان ابا
 العباس المنصور ما نصّه

روى البخاريّ امير المؤمنين الحسن بن المنصور ذو الفتح المين

عن الولي سيدي رضوان عن زكريّا عن ابن حجر عن الزبير عن أبي الوقت عن عن الفزري عن البخاري عن زركشي عن البيان المسند عن الفراوي مسند الوجود عن ابن سفيان الولي عن مسلم

عن سيدي سفيان السفيان عن التبوخي عن الحجاري عن السرخسي الفطن ومسلماً لزكريّا الغماري عن العساكري عن المؤيد من عبد غافر عن الجلودي ابقاه ربنا لحوط المسلم

ومن اعتناؤه رحمه الله أنّه بعث لعلماء مصر يستجيزهم رغبة في اتصال جبل السند واقتفاء لاحق ذلك الطريق الاسعد وممن اجازته الامام البكري المتقدم ومن بعض فصول اجازته قوله يمدح كتاب المنصور اليه يشي عليه بالفصاحة فقال ولقد وصل اليّ المثال العديم المثال المزري نظامه بعقود اللؤلؤ فاذا به السحر الاّ أنّه الحلال ولو ادّعى احد أنّ من معجزات احمد صلى الله عليه وسلم ان يمدّ الله كراماً كاتين في زمان نجله امير المؤمنين الامام احمد بكتاب كريم على اسلوب قويم يرسله الى محبّ قديم من النبعة والتصميم لم تكذب دعواه فما من خارق في امته الاّ وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم وعلى علاه واما ما شرفني به من طلب الاجازة فالييت والحديث لم يساوٍ وهو في اوجه هذه الرتبة الرفيعة المنزلة ولاكن ربّ ابا ارسل الى ابنه على يد عبده عطاء فقله واليه بامرء حمله وحيث وقع الامر فامر مولانا حتم وطاعته غنم فمولانا محجاز من هذا العهد بجميع ما يجوز لهذا العبد وعنه روايته بشرطه المعتر عند اهل الاثر والنظر وكذلك محجاز اهل العصر اجازة عام بعام ليكون ابناء الوقت جميعاً على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام فانه هو السبب في تحصيل ذلك المرام وكتب تحريراً في ربيع الثاني عام اثنين وسبعين وتسعمائة محمد بن ابي الحسن الصديقي سبط آل الحسن . وكفى المنصور شرفاً مخاطبة

هذا الامام الجليل وشهادته له بشرفه وقد كان سيدي محمد البكري من اهل
الفيض والعرفان قال شيخ شيوخنا ابو سالم في كتابه تحفة الاخلاء باسناد الاجلاء
نقلت بخط الامام ابي العباس احمد اذ قال السوساني ان العارف بالله الشيخ
زين العابدين محمد البكري تكلم على نقطة باء البسمة في الفى مجلس ومائة مجلس .
توفى رحمه الله سنة اربع وتسعين وتسعمائة قاله ابن القاضى في لقط الفوائد
ومن استجازه المنصور ايضاً من علماء مصر الامام العلامة بدر الدين القرافي
من ذرية الامام ابي جرة رضى الله عنه فاجازه باجازه عامة بسط فيها القول
وتركناها قصد الاختصار لآكثه ختمها بايات حسنة اذكرها هنا دليلاً عليها
وهى هذه

اجزت لمن تفضل واستجازا	وبادر لاقنا خير وحازا
وابرز فى سلوك العلم حالا	به من فضل مولانا يحازا
امام كامل عدل البرايا	امير المؤمنين حوى فحازا
وذلك بعد تشريفى بامر	وقصد للاجازه واستجازا
فبادرت امثالا قدر وسى	ومقتفياً مناهج من اجازا
وقد ابدت حقاً لا محالا	به صار الامام به محازا
بفاتحة وسنة خير هدى	وسلسلة لمن حاز امتيازاً
بدار الهجرة العليا امام	لما ابداء من فضل فحازا
وارجو منه يبذل لى دعاء	بما ارجوه من خير محازا
بجامة تبلى غنى مراما	بجنان اراها لى مفازا
واشياخى يبلّغهم رضا	ويوصلهم الى خير تجازا

وعلى ما ذكره الفشتالي انه كانت له خبرة بعلم الهيئة فرايت في كتاب الفوائد
الجملة ما صورته ان المنصور كانت له معرفة بعلم النجوم فنظر مرة في النجوم

فراى جيوشاً هائلةً افزعته وظنّ أنّ ثأراً يثور عليه فتحيّر لذلك واخبر به صاحب سرّه الفقيه الامام الامين ابا الحسن علىّ بن سليمان التاملى فقال له ابو الحسن ليس بوقتنا هذا من له الباع المديد في ذلك الفن سوى الشيخ الفقيه ابي زيد عبد الرحمن بن عمر البعقليّ فامرّه المنصور ان يكاتبه في ذلك فارسل ابو الحسن لاخيه ابي بكر سليمان يساله عن ذلك وكان ابو بكر يتعلّم على ابي زيد فساله فقال له تلك جيوش الجراد ما لها تعداد فكتب للمنصور بذلك فلم تمض الا اياماً يسيرة فجاء جراد طبق المغرب وكان المنصور رحمه الله جم الفوائد حسن المذاكرة حلّو المحاضرة مشاركاً في الفنون كلّها واذا قرئ بين يديه البخاريّ او غيره صدرت منه ابحاث رائقة واعتراضات فائقة لا يمكن التفصّل منها ولا الجواب عنها وكان القضاة ربّما توقّفوا في التوازل الصعبة فيرجعون اليه فيها وكمرّة ردّ احكام القضاة بعد انبرامها واطلّعهم على وجه فسادها وكان محبّاً في العلماء متنافساً في محبتهم موثراً لمجالستهم لا يفارقهم حضراً ولا سفيراً ويحكى أنّه سافر مرّة لثارودانت ومعه جماعة من اعيان العلماء كالقاضي الحميديّ والمنجور وغيرهما فخيم بباب تارودانت وضرب الناس اخيبتهم فمرّ رجل عليه اظمار بالية وهيئة رثة فوطىء على جبل من جبال خباء القاضي الحميديّ فصاح عليه الحميديّ من هذه البقرة التي خوّضت على خيمتي مستحقراً بالرجل فجاء ذلك الرجل فقال له البقرة هو الذي لا يجب عن هذه المسائل والقي اليه قرطاساً مكتوباً فيه هذه الابيات الستة ونصّها

الى علمك العالي مسائل ترتقى	تيقظ لهنّ يا حميديّ واصدق
فما الحكم في الاوزاغ هل ساغ اكلها	وما الحكم في موتى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد	دعاه اذا ما رام اكل ما بقى
وما وزن ليس لي حبيب واصله	وما جمع قلة لصاع فحقق
وما وزنه شمر ولا تن واتنا	بجمع سواء والمقيّد اطلق

ويُن لسا ما في اعوذ برّنا من ابليس والتخسيس في الكلّ فاتّق

فتوقّف القاضي الحميدي عن الجواب فرفعت القضية للمنصور رحمه الله فاستعربها
وقال هذا رجل من اهل البادية قضح قاضي قضاة الحاضرة وامر المنجور
فاجاب عنها فقال

جوابك في الاولى اباحة اكلمها
كذا ابن حبيب في الحشاش اباحه
وقد قيل في الاوزاغ يحرم اكلمها
ومقتذر يحكي المخالف منعه
ورجح ما يحكي المخالف بعض من
وميت مجنون جرى خلف حكمه
وتحقيقها ان الجنون اذا طرا
فاونة بعد البلوغ طروه
واونة اثر الصلاح وقوعه
وحينا يدوم للممات وتارة
ويندب للمسبوق دعوى تشهد
وليس له فعل كقال واصله
وجمعك صاع في القليل باصوع
وان شئت فاقلبه ويرجع آصعا
وصاع كعام عينه فرع ضمة
ومقصود من في العوذ من لغاية
وجمع سواء فالذى منه جامد
ومشتقة وزن الخطايا قياسه
لما ذهبنا فاجزم بذلك وصدق
لمحتاجه مثل العقارب فاسبق
وذلك في الكافي ليوسف فارتق
وانكره الشيه فافهم ودقق
له العزّ لتحقيق لا للتشريق
بعلم كلام لا تكن غير متقّ
يصير كموت فصل الحق فاعبق
وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
وحينا بعصيان الكبيرة يلتق
يفيق فخذ حكم الجميع ووثق
وفاق امام في الملاحاة فارتق
بكسر لاء فاكسر العين ترتق
واصوع بهمز الواو انهج ووثق
لضابط تصريف فاعلم شوق
وتحريكه فتصح فزنه وحقّق
فابليس مبدا العوذ عند الموفق
باسوية علم يقاس ففرّق
سواءية نقل فبالصرع فانطق

ذكر جملة من تأليفه البهية ولمع

من غرر آياته الشعرية

قال الفشتالي ألف المنصور عدة تأليف كلها حسنة تدلّ على براعته وسعاده قلمه فمن ذلك كتاب السياسة ونصّ خطبته نحمدك اللهم على ما انلت من رياسة وعلمت من سياسة ووهبت من ملك ونظمت من سالك وكففت من اعداء وهديت من اراء ونصلي على مبلغ انبيائك وخاتم انبيائك المويّد باهل ارضك وسمائك من به ائت على خلقك الحجّة وبلسانه الصادق نهجت لهم في اتباعها الحجّة صلاة تكون منّا كفاء وبمجده السامي وفاء وبعد فلنا حاجة في تكميل انفسنا في قواها البشرية باستعمالها في حقايق المعلومات العملية والنظرية وعلوم الحكمة العلمية اولى بنا لما نحن فيه واعون على ما نجلبه لهذا الامر العلوي الفاطمي او نقتفيه فلنصرف اولاً عنان القول اليها ولنجلب بالخيال والرجل في ميدان هذه الطروس عليها ومن الله نستمدّ وعلى عونہ جلّ وعزّ نعتمد وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قسوة الا بالله العليّ العظيم الجليل . ومن تأليفه ايضاً كتاب الادعية فيما يقال في العبادات وسائر الحركات والسكنات والمساء والصباح قال الفشتالي وكان عازماً على جمع اشعار الشرفاء من اهل البيت وتفردّها . واما ما جمع من التقايد المتفرقة فكثيرة فمن ذلك حاشية على التفسير تكلم فيها مع الزمخشاري وغيره جمعها قائده ابو الحسن عليّ بن منصور الشياطيّ وكان المنصور حريصاً على التأليف ياامر الفقهاء بالتقييد فامر الفقيه الصدر العلامة سيدي محمد بن عبدلي الرخراشيّ ان يجمع بين تقييد الامام المسيليّ وتقييد السلاويّ عن شيخهما ابن عرفة في التفسير ففعل ذلك وامر الامام المنجور بشرح الفية ابن مالك شرحاً يجمع

ما تفرّق في الشروح والخواشي بحيث يغنى عن سائر ما قيد عليها ففعل فجاء في مجلّدين ضخمين وامره بشرح ما يخص المقاصد قال الفشتالي ومّا تيسّ به تمهياً وعجياً خزائنه عن سائر الخزائن الملوكيّة تأليف الفاضل العلامة الرّحال ابو جمعة سعيد بن مسعود الماغوسيّ التي منها شرح لامية العجم املاه بالمشرق وعليه تغويط علمائه ومنها شرح لامية العرب املاه بعضه اوكله بالمشرق وهده بالمغرب وخدم به المنصور وله شرح على درر السمط في اخبار ابن الأبار . وقال في درّة الحجال في حقّ الماغوسيّ المذكور فقيه اديب له تأليف الى ان قال وله رحلة الى المشرق وادى فريضة الحجّ واخذ هنالك عمّن لقي من اهل مصر والشام والحجاز والقسطنطينية وغيرهم وله فيما اظنّ مشيخة قيد اسماءهم وما سمع منهم ولد بعد الحسين في غالب الظنّ وتسعماية وهو من اهل العصر وله خطّ رائق ومشاركة في العلوم وفهم ثاقب . وكانت للمنصور عناية تامّة باقتناء الكتب والتنافس في جمعها من كلّ جهة فجمع من غريب الدفاتر ما لم تكن لمن قبله ولا يتّيسّر لمن بعده مثله وجلّ كتبه طالعاه كلّاً ووقّف عليه بخطّه ونبه على الغامض وشرح الغريب وآما نظمه فالسحر الحلال وارق من الماء الزلال لتكامل محاسنه وتكثر بدائعه وها انا اثبت منه قطعاً واجلو عليك منه لمعاً فمن ذلك قوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبة له وهي أول ما قال فاجاد واحسن في المقال

ووردة شفعت لي عند مرّتها راقّت وقد سحرت بفاتر الحدق
كانّ خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من عنبر عبق

وقال ايضاً

من عنبر الشجر او مسك دارين بلى ومنه نسيمات الرياحين
مهفهف ان تشنّى قلت مقتضب من قضب نعمان او من كبت تبرين

ذنبى اليه ولا ذنب محبته من اجلها بسهام اللحظ يرمين
يا ما اميلحة ظلماً رضيت به لو انه دام منه كان يكفين
معدّبي مذ حرمت النوم بعدكم فامان على بنوم غير مفتون
وامض على ورد ذاك الحّد بزق فم يعوض الحّد من ورد بلسرين

وقد وقفت على شرح هذه الابيات في نحو كراسين اشتمل على ما فيها من
الحسنات البديعة والنكت الغريبة والملاح الادبية ويقال ان ذلك الشرح
للسيد الحسين الزياتي رحمه الله تعالى وقال ايضاً

رقبى كان الارض مرءات شخصه فاين تولّى الطرف منى يراه
مقيم بوجه الوصل حتى كآتما وصالي هلال والسواد صراه

وقال ايضاً

ايا روضة ضمت على بزهرها ولم يتلو ناظرى سواك
ايحيى لنفسى من شذاك بقاءها اذا فت طرفى علّ انقى يراك

وقال ايضاً

على جدول غطت على بشعرها لثلا يرى الشمس الرقية اطرف
فت ارى في جدولي بدر وجهها غريقاً ونقطة العير به كلف

وقال ايضاً

وكيف لقلب في هواه مقلب وآتى له بين الضلوع مقام
فيا شادناً مرعى الحشوانت في الحشام بمحل انت فيه دمام

وقال ايضاً وهو من التجنيس المركب

طرقت حياء والاسود خوادر به فتولّى في الظبا وهو بميد
فعلّمت اساد الثرى كيف تقدم وعلمّت غزلان النقا كيف تشرّد

وقال ايضاً

تبدي وزبد الشوق يقده النوى فتوقد انفاسى لظاء وتضرم
فهشّ لتوديعى فاعرضت مشفقاً على كبد حرّ وقلب يسقم
ولولا ثواء بالحشا لاهنتها ولاكنّها تصبى اليه فتكرم
فأعجب لاساد الثرى كيف اجحمت على أنّه ظبي الكناس يقدم

وقال ايضاً

لما نأى المحبوب رقى لي الدجا واتى يعلّنى برعى كواكبّه
اولى غراب الين ودك يا حشا الين يرمى للصباح كواكب به

وقال ايضاً

انّ يوماً لناظري قد تبدي فتملاً من حسنه تكميلاً
قال جفنى لسنوء لا تلاقى انّ بينى وبين لقياك ميلاً

قال في نفع الطيب وقد تبارى خدام حضرة المنصور في تخميس هذين
البيتين ومن اشهر ذلك قول الاستاذ الامام الحافظ الاديب البليغ الفصيح ابي
العباس احمد الزموري رحمه الله

ورقيب يردّد اللحظ ردّاً ليس يرضى سوى ازديادي بعدا

سأه الطرف مد جنا الحد وردا أن يوماً لناظري قد تبدّا
فتملاً من حسنه تكميلاً

وتصدى من حسنه في استباق يمنع الحظّ من جنى واعتساق
الس اللحظ من لحاظ ايتلاف قال جفنى لصنوه لا تلاق
ان بينى وبين لقياك ميلا

وقال ايضاً في جارية من حظاياها الرفيعة اسمها آمنة

شادن نمّ عليه عرفه من خلاصى لسهام كامنه
احلال لي قلب خائف وغزالي بعد خوفاً آمنه

وقال ايضاً

لقد أتى صارماً صقيلاً ولم يرث ذلك من بعيد
شديد باس متى يعادى وشدة الباس في الحديد

وقد ردّها رحمه الله على من قال في ابن الحديد

هذا أتى بارداً ثقيلاً ولم يرث ذلك من بعيد
فهو كما قيل فيه شيء اشهر ما كان في الحديد

وقال ايضاً في طريق التعمية في اسم سلاف

واحور سنان الجفون كأنما لحظه من ريق فاه بقرقف
مضى صارماً لا فلّ صارم لحظه تزايد منه مذ سلّ تلاه ف

وقال ايضاً

هذب الجفون بضح خدك سجلت ولدى الهوى رگتهم عيناك
فقضى الهوى جوراً بسكري زوروا شهدت لهم اني على مضناك

وقال ايضاً

بستان حسنك ابدعت زمراته ولكم نهيت الحسن فيه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة يشنى يا حسنه رمانه لالمشتهى

وقال ايضاً

افنى بها البستان صنوك روضة يقضى بها لما مطلت وعودا
اهو البهار محاجر اوائى بها في وقته كي ما تكون خدودا
فبعثها مرتادة بنسيمها تشى من الروض النضير قدودا

وقال ايضاً

لي حبيب ياتي بكل غريب هو عندي منكر ومعرف
لست اشكو الصيرفي ونحوى انه لي نمي وفي تصرف
فعله في لازم متعد ومزيد مجرد ومضعف

وقال ايضاً

تحالفت منه عيناه الى سبب كان اتفاقهما به على عطبي
محرمه العين تقصيني وتدلسني والالحظ يطمعني فيه ويسخر بي
اشكو نهائ وشوقي وافتراقهما في امره وكلا ذا زاد في تعبي
ان طعت ذاك فمن لي فاشى ارب او طعت هذا فمن لي فاشى حسب

وقال ايضاً

لا وطرف سلب السيف فقد في قوام كفى الخطى نهـد
ووميض لاح لما ابتسمت فارتنا منه درّا وبرد
ما هلال الافق الآ حاسدا منها حسناً وبهاء وغيد
ولذا عاش قليلاً ناحلا كيف لا يفنى نحولاً من حسد

وقد عارض رحمه الله بهذه الابيات ابيات الشيخ الاديب الامام الحليّ
المتقدم الذكر وهي قوله

لا وفرع كدجى الليل غسق وجين ضوءه ضوء الفلق
ومحيا كلف البدر به وخذود نورها نور الشفق
ما غزال الحيف الآ حاسدا منه جيداً والتفاتاً وحدق
ثم خافت فتولّت شردا كيف لا يشرّد خوفاً من سرق

وقال ايضاً في حظيته الشهيرة نسيم حاجة قبة التسيم مغمياً

يا هلالاً طلوعه بين حجبي وغزالاً كناسه بين جنبي
انّ سهماً رميت غادرهما لو تناهى ما شك اخر قلبي

وكتب على هذين البيتين بخطّه الشريف ما صورته قولي انّ سهماً تنصيص
وغادرهما اسقاط وهو اشارة لاسقاطها من هذا الاسم وقولي وتناهى انتقاد
والانتقاد الاشارة الى بعض اجزاء الكلمة ليؤخذ الاسم المطلوب كان يذكر
الوجه او الصدر او الساج او الراس ويعنى به الحرف الاول من الكلمة او
القلب والجوف والحشا والخصر ويراد به الوسط والاخر والمنتهى والختام
ويقصد به اخر الكلمة فقولي لو تناهى معناه انه لو اخذ لفظة هم غير مثناة

فبقيت الميم من ها وقولي ما شك اخر قلبي انتقاد ايضاً واردت باخر قلبي الياء
ويسمى ايضاً التعمية وهو ان تذكر الاسم وتريد المسمى او تذكر المسمى وتريد
الاسم واعلم انهم لا يشترطون في استخراج التسمية بطريق التعمية حصولها
بحركاتها وسكناتها بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئاتها الخاصة
فاذا وقع ذلك في الشعر فيكون عندهم من المحسنات ويسمى العمل التذييلي
انتهى كلامه على البيتين وقال ايضاً في اسم غزال وهو ما جمع بين تعمية ولغز

املد مطوى الحشا زال ردفه فلا خصر الا ان تصورته وهما
بنصف اسمه يري القلوب وعكس ما بقى ابدان الحب به صمما

وكتب عليهما ما نصه فقولي املد اردت به بعمل الترادف غصن ومطوى
الحشا انتقاد وزال ردفه قضيت به غرضين ازلت به التوى بعمل الاسقاط
الباقى من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه واثبت به موضعه بعمل الانتقاد
واوضحت ذلك بقولي فلا خصر وان كنت لا احتاج اليه لئلا يكون في البيت
شئ خارج عن التعمية . وقال في اسم امته ايضاً في العمل التذييلي

من شقائي قصته وهو خشف في رضاه عن الملوك ابتذلت
املد منه قد تخلل خصر وتثنى عن حبه ما عدلت

وكتب عليهما ما صورته فقولي املد اردت به عمل التشبيه وتخلل خصر منه
انتقاد واردت بالخصر وسط لفظة منه وتخلله ان ينخل السكون الذي على
النون وقولي وتثنى من التثنية لا من التثنية فتم الاسم بحركاته وعدده وهو من
عمل التذييلي وذلك ان ياتي بالكلمة بحركاتها وسكناتها وهو من المحسنات كما
سبق . وقال ايضاً في اللباس المسمى بالمنصورية قال ابن القاضى في المتقى

المنصورية لبس من مناف ثم يكن مستملاً قبله وهو أول من اخترعه واضيف
اليه فقبل المنصورية فقال فيها وكان لباسه من الملف المسمى بقلب حجر ما نصه

وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم قول الحبيب انا انا فيه
قلبي له حجر فقلت مغالطاً للماذل الموزي انا انا فيه

وكتب عليهما بخطه الشريف ما صورته في هذين البيتين عدة من المحسنات غير
التعمية منها جناس التورية التركيبية المسمى عندهم بالملفق وحده بان يكون
كل من الركنين مركباً من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل
من يفرق بينهما ومنها الانسجام ومنها الاستخدام وعهدي بالفقيه ابي الحسن
على بن منصور الشياظمي تعرض الى شرحها بكراسة والتعمية في هذين
البيتين بالعمل الحسابي كثير الا ان هذا العمل احسبني ابا عذرتة اذ لم اره
لغيري ومادة التعمية انا انا فيه قلبي له حجر فقولي انا انا فيه معناه ان تضرب
انا في ه وقولي فيه نص في الضرب ويخرج من هذا مائتان وستون عدد حروف
هياني وحقك فيه وقولي قلبي له حجر بعمل القلب يصير رجح فصار
المجموع هياني وحقك رجح وفيه التورية وهياني وحقك الخارج من هذا
الضرب فيه تهكم بالواشي وهو من المحسنات ايضاً اعنى قوله له وحقك وتصلح
ان تسمى هذه التعمية بالافتنان لان الافتنان عندهم ان يتفنن الشاعر قياتي
بفتن متضادين من فنون الشعر في بيت واحد وهذا وقع التضاد فيه في كلمة
واحدة فظاهر انا انا فيه يضاد هياني وحقك رجح الذي يخرج بطريق الحساب
فافهمه ويمكن استخدام تعمية اخرى من قولي للحاسد الموزي انا انا فيه . قال
في نفح الطيب والاستخدام الذي اشار اليه هو قوله انا فيه اي في هذا
الثوب المسمى بقلب حجر كما دلت عليه الحكاية واما المعنى الثاني لقوله انا فيه
فظاهره . قال الفشتالي وقد رفعت الى جلاله العلي مرة رقعة اشكو لفضله

الجلّى بعض ما اهتمنى من امور دنياى فبرز لي توقيعه ايده الله بيتين من
نظمه الباري

يا كاتباً اذا كتب غرس روضاً ذا فنن
انّ جوابي للذي يشكو دناه اردد حزن

قال الفشتالي واذا تأملت هذا التوقيع وجدت بيتيه عامرين بمحاسن جمّة
أما أولاً فلذلالتها على شرف القائل فانّ كلّ من له ذوق سليم يفهم انّ هذه
نفس ذي عزّة وسلطان وهمّة وعلوّ شان من شأنه ان يشكى اليه وتعرض
قلاص الامال لديه لما تدلّ عليه قرينة انّ جوابي للذي يشكو دناه من العظمة
والجلالة والعزّ العريف الاصاله وأما ثانياً فلما افاده قوله له اردد حزن من
مواجهة الشاكي بالمواسات والتسليه وهذا هو الشان في الشكوى الى ذي مروءة
فكيف بسط النبوءة وأما ثالثاً فلما يدلّ عليه مجموع البيت الثاني من كرم
قائله لكلّ من يشكو اليه الدنا كائناً من كان يردّ الحزن عليه ودفع الهمّ عن
ساحته بالمرادف الذي هو درهم الملغز فيه وما كفاه ايده الله ذلك حتّى أكد
الوعد بالاداب الدالّة على تحقيق الحصول على الامنية وتمام البغية الهنية وبيان
الرمز الذي رمز له ايده الله بشعار التورية المركبة في الاصل انّ قوله اردد
يرادف در حكاية لقول العامة وحزن يرادف همّ فحصلت التورية المركبة في
درهم برّمته وفي در وهم مفككين وهذا من السحر الحلال ونكتة الدرهم لا
يهتدى لصوغها الا من صاغ الله جواهره النفيس من اطيب المعادن واشرف
العناصر ولنقتصر على هذا القدر من بنات افكار المنصور ومحاسنه في هذا
الباب كثيرة فتبّعها يردّ العقل وهو حسير وفي هذا الباب دليل تمهّد الرجل
وتضلّعه بالفنون رحمة الله عليه

ذكر احتفال المنصور بالمولد النبوي

واعتائه بالاعیاد على السنين السنّی

قال الفشتاليّ كان ترتيبه في الاحتفال بالمولد النبويّ اذا طلعت طلّائع ربیع الاول صرّف الرقاع الى الفقراء ارباب الذكر على رسم الصوفيّة من المؤذنين المتعارين في الاسحار بالاذان فياتون من كلّ جهة ويحشرون اليه من سائر حواضر المغرب ثمّ يامر الشّماعين بتطريز الشموع واتقان صنعها فيتبارى بذلك مهرة الشّماعين كما يتبارى النحل في نسيج اشكالها لطفاً وادماجاً فيصوغون انواعاً من الشموع التي تحيّر الناظر ولا تزيل زهورها النواضر فاذا كان ليلة المولد النبويّ تهيّأ لملها وزفاف كواعبها الحماّلون المحترفون لحمل خدور العرائس عند الزفاف فيتزيّنون ويكون في اجل شارة واحسن منظر ويجمع الناس من اطراف المدينة لرؤيتها فيمكنشون حيث يسكن حرّ الظهيرة وتجنّح الشمس للغروب فيخرجون بها على رءوسهم كالعداري يرفلن في حلال الحسن وهي عدد كثير كالنخيل فيتسابق الناس لرويتها وتمتدّ لها الاعناق وتبرج ذوات الخدور وتتبعها الاطبال والابواق من اصحاب المعارف والملاهي حتّى تستوي على منصّات معدّات لها بالايوان الشريف فتعطف هنالك فاذا طلع الفجر خرج فصلّى بالناس وقعد على اريكته وعليه حلّة البياض شعار الدولة وامامه تلك الشموع المختلفة الالوان من بيض كالدمى وحمّر حليت في ملابس ارجوان وخضر سندسيّة واستحضر من انواع الحسك والمباخر ما يدهش الناظر ويبهر الجالس ثمّ يدخل الناس افواجاً على طبقاتهم فاذا استقرّ بهم الجلوس تقدّم الواعظ فسرّد جملة من فضائل النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر مولده وارضاعه وما وقع في ذلك باختصار فاذا فرغ اندفع

القوم في الاشعار المولديّات فاذا فرغوا تقدّم اهل الذكر المزمعون بكلام
الشعريّ وكلام غيره من الصوفيّة ويتخلّل ذلك نوبة المنشدين لليتين فاذا
فرغوا من ذلك كلّ قام الشعراء فيتقدّم قاضي الجماعة بلبل منابر الجمع والاعياد
قاسم بن عليّ الشاطبيّ فينشد قصيدة يستفتحها بالتغزل والنسيب فاذا تمّ يتخلّص
لمدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ يحتم بمدح المنصور والدعاء له ولوليّ عهده
فاذا قضى نشيده تقدّم الامام المفتي ابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف
الفلاّليّ فينشد قصيدته على ذلك المنوال فاذا فرغ تلاه الوزير ابو الحسن عليّ
بن منصور الشياطيّ فاذا فرغ تلاه الكاتب ابو فارس عبد العزيز بن محمّد
بن ابراهيم الفشتاليّ ويليّه الكاتب ابو عبد الله محمّد بن عليّ الفشتاليّ
ويليّه الاديب ابو عبد الله محمّد بن عليّ الهوزاليّ المعروف بالنابغة
ويليّه الفقيه الاديب ابو الحسن عليّ بن احمد المسفيويّ فاذا طوى بساط
القضاء نشر خوان الاطعمة والموائد فيدا بالاعيان على مراتبهم ثمّ يوزن
للمسلمين فيدخلون جملة فاذا انقضت ايام المولد الشريف برزت صلات الشعراء
على اقدارهم هكذا كان دابه في جميع الموالد ولا يحصى ما يفرغ فيه من
انواع الاحسان على الناس انتهى باختصار من مناهل الصفا وقال صاحب
النفحة المسكية في السفارة التركية حضرت المولد الشريف بعد القبول من بلاد
الترك قال فاستدعى المنصور الناس لايوانه السعيد واستدخلهم لقصره البديع
المحتوي على قباب عالية وقد مدّ فيها ومهد من فرش الحرير وصفة التمارق
وتدلّت الاستار والكلل والحجال المخوضة بالذهب على كل قبة وحناية كان
سرير ودار على الحيطان حيطيّات الحرير التي هي كازهار الحماثل ما رأت قط
في عهد الاوائل مرفوعة الجوانب على قواعد واساطين من رخام مجزّع
مطلية الرءوس بالذهب الذائب مفروش جلّها بالمرمر الابيض المخطّط بالسواد
يتخلّل ذلك ماء عذب فيدخل الناس على طبقاتهم واخذ كلّ منهم مرتبته من قضاء
وعلماء وولحاء ووزراء وقواد وكتاب وضياف واجناد يتخلّل لكل واحد

منهم أنه في جنة النعيم والسلطان جالس في افخر ملابسه تعلوه الهيبة والوقار وترمقه الاعين والابصار بالتعظيم والاكبار ويجلس من عادته الجلوس ويقف على راس السلطان الوصفان والعروج وعليهم الاقية والمناطق المدورة المشدودة المذهبة والحزم المذهبة مما يدهش الناظر وركزت امامهم الشموع واذن لعامة الناس فدخلوا من اصناف القبائل على اجناسها من الاجناد والطلبة وسكنت بعد حين الجلبة واتى بانواع الطعام في المقصاع المالقية والبلنسية المذهبة والاواني التركية والهندية واتى بالطوس والابارق وصب الماء على ايدي الناس ونصب مباخر العنبر والعود وبرزت صحائف الفضة والذهب واغصان الريحان الغضّ فرش بها من ماء الورد والزهر ما يبقى منه الاثر وتكلم المنشدون واحسن لهم الامير ثم ختموا المجلس بالدعاء للسلطان واذا كان يوم السابع يكون ترتيب ابدع من الاول وهذه كانت سيرته دائماً . وهكذا سيرته في شهور رمضان عند ختم صحيح البخاري وذلك أنه اذا دخل رمضان سرد القاضي واعيان الفقهاء كل يوم سفرأ من صحيح البخاري وهي عندهم حجة على خمس وثلاثين سفرأ في كل يوم سفر الى يوم العيد فاذا كان يوم سابع العيد ختم فيه البخاري وتهياً له السلطان احسن تهية الا ان العادة الجارية عندهم في ذلك ان القاضي يتولى السرد بنفسه يسرد نحو الورقتين من اول السفر ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ويلقى من ظهر له بحث او توجيه ما ظهر له ولا يزالون في المذاكرة فاذا تغلّى النهار ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكملة سرداً بداره ومن الغد يسرد سفرأ اخر وهكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حصى الحلقة قد عين جلوسه موضع قال الفشتالي وكان يعطى اموالاً جزيلة عند ختم القراءان في رمضان لذوي الحاجات ويقم مهرجاناً عظيماً يوم عاشوراء لختان اولاد الضعفاء وكل من ختن منهم اعطيت لهم اذرع من الكتان الحسن وعدد من الدراهم وسهم من اللحم يعمر باقامة هذه السنة بياض ذلك اليوم ويشمل الاحسان من ذلك مما لا تحصى ويعم الصنيع اولى الحاجة فيحتقب

امير المؤمنين آيدہ اللہ من قنوبۃ هذا اليوم المبارك المشهود بما يتقل اللہ به موازين اعمال برہ يوم الجزاء الموعود له وقد آن لي ان اذكر طرفاً من القصائد التي كان يمدح بها في الموالد الشريفة تتميماً للغرض قال الامام القاضي ابو القاسم بن علي الشاطبي

ما بال طيفك لا يزال اماما	وبمنحني الاحشا ضربت خياما
ايعيش فيك عواذلي بسهومهم	وامسوت فيك صباية وغراما
وتبيح نهرك سائلاً من ادعى	او ليس نهر السائلين حراما
ما ذقت ماء لماك في سنة الكرا	الا انتهت فكان لي احلاما
عرض اذا حدثت من باب الحمى	فحديث قلبي بالاجارع هاما
اروى حديث الرقتين مسلسلا	عن دمع باكية الغمام سجاما
وتلق من حيث النسيم تحية	اضحى الهوى برداً بها وسلاما
يا حيرة العالمين دعوة ضايق	للذيذ عيش بالقضا لو داما
فخذوا بجرعاء الحمى قلبي فقد	الف الاقامة بالحما فاقاما
وخذوا بشاري اهل نجد انهم	سلبوا الفؤاد وادنفوا الاجساما
في كل غرب دموع عيني مشرق	لكواكب فيها اثن ظلاما
صليت بنار الشوق ثم رنت الى	السانها في لجة قد عاما
وتسلسلت عبراتها شوقاً لمن	وقفت عليه صلاتنا وسلاما
خير الانام محمد الهادي الذي	اردى الضلال وجب منه سناما
كنز المعوالم سر طينة ادم	ولحفظ ذاك السر جاء ختاماً
واجل ارسال الانام ومن به	قد لاذ يونس حين خاض ظلاما
وتقاصرت عن فردہ اعدادهم	فلذا تقدم في الحساب اماما
اسرى الى السبع العلا فاستقبلت	قدس الملائك وفده اعظاما
في ليلة غصت باملاك السما	فتصير خلف ركابه واماما

يا خير من بهر المعاند شأنه عجزاً فغصّ بريقه الخساد
 اعياء جلالك ان يحيط بوصفه وصف البليغ واخرس الاقلام
 صلّى عليه الله ما زان الحيا روضاً ففتّح زهره الاكمام
 ما لذّة في غير مدح مخلص الآ بمدحى من نيبك اماما
 خير الورى وامامها المنصور من في ظلّ دولته الانام اقاما
 اصفى على الارضين ظلّ مهابة فخمى بها حامى العباد وساما
 وسمى على الدنيا عقاب تنوفة فانفضّ يفتّس الاسود جهاما
 قل للملوك هبوا لمالككم فدى وخذوا لانفسكم لديه ذماما
 هذا الذي يحيى البلاد بعدله ويعيدها نشراً وكل ركاما
 هذا الذى وعد الالاه بآته يطوي البلاد ويفتح الاهراما
 يا مشبه المهديّ في ارائه عزماً وفي عزماته اقدا
 انت الذى بنيه ابناء العلاء ارسى البلاد ووهد الاسلاما
 فكأنهم من حولك الاشبال غاب الوشيخ تبوّأت اجاما
 وامينها المامون هضب سماءها علم اقام على الهضاب سناما
 واجلّ مضطلع تحيّر الورى بعد الامام فقدّموه اماما
 واتاه احد عهد امّة احمد فوفي فكان لرعيه المعناما
 لا يعدون النصر سيفك أنّه سيف يحوط الدين والاسلاما
 خذها ينمّ على العيد مديحها ويفضّ عن مسك الحتام ختام

وقال الامام العالم العلامة الفقيه الاديب المحصل النجيب مفتى الحضرة المراكشيّة
 ابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف الفلاليّ رحمه الله تعالى ورضى عنه

ارقت وشاقتنى البروق اللوامع وذكر خليط هيّجته المراجع
 مرابع فيهنّ الدوامس والسما تراق من الاشواق فيها المدامع

كان لم تكن من قبل قدماً واهلاً
 تذكرني عهدي الاجارع واللوى
 سحبت بها ذيل الصبابة برهة
 وقفت بها بالسدل والليل دامس
 اسائلها عن جيرة بان حيمهم
 فهل قدموا نحو العقيق صدورهم
 يجتر عن دار الرسول وقربها
 يا دار بها على الحمى سيد الورى
 عليك صلاة الله يا خير مرسل
 فلولاك هذا الكون ما زال معدماً
 لك الفخر في الدارين والموقف الذي
 فادمتهم والكل تحت لوائكم
 فجازاك رب العرش ما انت اهله
 وجازى اماماً قد دعت اليكم
 سميت وابن السبط حقاً ومن له
 قدم للعلا يا ابن الخلائق مفرداً
 ودام ولي العهد بعدك صارماً
 هو الامن المامون من كل فتنة
 ففبك اقول والنصوص شواهد
 بكم راس هذا القرن جدد ديتا
 اذا السلك منظوم وشملى جامع
 واين اللوى متى واين الاجارع
 وحفن الردى عنا وحاشاك هاجع
 انازعها الشكوى بها وتنازع
 وضمت هواهم بعد ذاك الاضالع
 ولاح لهم برق من الجوّ لامع
 عراض بها للوحى فاضت ينباع
 وهبت على الاشراك منها زعازع
 ويا خير من تشى عليه الاصابع
 وانت الذي يرجوه عاص وطائع
 لاهواله كل النيين جازع
 وليس لهم والله غيرك شافع
 جزاء به يشجى المناوي الخادع
 اصول واباء كرام فسوارع
 عوارف في اعناقنا وصنائع
 اليك اشتراؤها وغيرك بائع
 يحب الى نيل العلا ويسارع
 لفيض الندا من راحتيه تدافع
 احاديث صحت ليس فيها منازع
 وفاضت بحور للعلوم دوافع

قال مؤلفه وما اشار اليه في هذين البيتين من انه هو المجدد للدين في راس
 القرن العاشر نحوه تقدم في صدر الكتاب عن الشيخ القصار نظماً والحديث
 المشار اليه في ذلك هو ما اخرج به ان الله يبعث على راس كل قرن

من يجدد لهذه الأمة امر دينها وحمله بعض العلماء على أنه من السلاطين
وقيل من الاولياء وقيل من العلماء وكفى بالشيخ القصار والامام سيدي عبد
الواحد بن احمد الشريف الفلاي دليلاً على جلالة المنصور والآفدين الرجلين
يمنعهما من التغالي والافراط في المدح بما لا يصح في الممدوح نعم الوصف
بالعدل والشجاعة مثلاً متوسّع فيهما بين اهل الشعر وأما مثل هذا لا يطلقه
الآلمن علم بصحة مستنده والله اعلم بحقيقة الحال وانظر كتاب ازهار الرياض
في اخبار مناقب القاضي عياض للشيخ الحافظ ابي العباس احمد بن محمد المقرئ
فقد شفى الغليل في مسألة المجدد وبسط فيها القول رحمه الله وقال الوزير ابو
الحسن علي بن منصور الشياظمي المربطى ايضاً ما نصّه

من بعد اهل قبا واهل كداء	شوقى يزيد ومثل ذلك عزاء
ولي الشفا في قربهم وهم جلا	ما في الخواطر من صدى وصداء
لاكنه بعد المزار فاين من	تلك المعاهد ساكن الحمراء
بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعهم	ذات السنا والرند والصباء
وشذا بهم حادي الركاب فكاد ان	نزع القلوب جسومها بفضاء
يا سعد لو ان الزمان مساعدى	ويحجب مع ذي البعد بعض النداء
لركبت حرفاً كاللهال مناجزا	للهمز الآ في المنادي النباي
ولجت احباب الفلا وطويتها	طى العلا بنجيبه قوداء
تختاض في جو الظلام كأنها	سرّ توجّ في ضمير حجاء
وتخال في لجج السراب سفينة	تجري القلاع بها بريح رجاء
فهل انزلن بها المحصب من منى	وازور بعد معاهد الزوداء
فاحطّ عنها الرحل ثم مخيماً	في ظلّ احمد بغيتى ومناءى
وامرغ الحدين ملتئماً ثرا	وطئته رجلا خاتم الانبياء
محي الهدى ماحى الضلالة والردى	بالبیض والخطیئة السمراء

صلى عليه الله ما سمح السخا
وعلى صحابته الكرام واله
وأكرم بوارث مجده وعلائه
خير الخلافة أحمد المنصور من
الصارم الهندي في يمني الهدى
يا أيها الملك الذي بسيوفه
ذخر الآلاء لك الفتوح وصانها
لا بدّ من فتح يروكك واضح
وستملك الحرم الشريف ويتمى
وترى الجهات وقد اتت منقادة
وتقرّ عينك بالخلافة منهم
بمحمد المأمون خير من ارتقى
فرع سيحكي أصله ولقد حكى

لوماً وما أجلى الدجا ابن ذكاء
أكرم بهم من سادة فضلاء
سبط الرسالة غرة الأبناء
حاز الكمال وشر كلّ علاء
الكوكب الوقّاد في الظلماء
حاط الهدى وبرايه الوصاء
كالزهر في الأكام والأوعاء
كالصبح بذّر في البخار كداء
للوائك المنصور دون مرء
بظبا بنك السادة النجباء
وزر البرية غرة الأمراء
درج الكمال ودبّ للعلياء
بمقاصد قد سدّت لدماء

وقال الكاتب الأديب أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي
رحمه الله

هم سلبوني الصبر والصبر من شان
وهم اخفروا في مهجتي ذم الهوى
لئن انزعوا من قهوة الين أكؤسى
وان غدرتني بالعداء حولهم
قف العيش واسئل ربهم آية مضوا
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوى
واين انتقلوا هل بهضب تهامة

وهم حرّموا من لذة الغمض اجفان
فلم يته عن سفكها حتى الجان
فشوقهم اضحى سميري وندمان
كفى ان قلبي جاهدأ اثر اطمان
ألجزع ساروا مدلحين ام البان
ملاعب آرام هناك وغزلان
اناخوا المطايا ام على كشب نعمان

نفوس ترامت للاحما قبل جثمان
ازمّتها الحادي الى شعب بدان
يؤمّ بهم رهبانهم دير نجران
باحداجهم شقى صفات والوان
فلحى نجومها في معارج كشان
اذا زمّتها بدر نواعم ابدان
تمشى الحيا في مفاصل نشوان
به الماء صرا والكلا نبت سعدان
تفاوح عرفا ذاك الرند والبان
فهاجت مع الاسحار شوقى واشجان
سحبت بها في ارض دارى اروان
نسيم الصبا من نحو طيبة حيان
معاهد راختى وروحي وريحان
به صحّ لي انسى الهوى وسلوان
اذا لاح برق من تهاى وتهلان
احث بها شوقاً لكم عزمى الوان
يزج بها في نوركم عين النسان
ودهرى عنى دائماً عطفه ثان
سوافح دمع من جفون هتان
بافياها ظلّ المنى والهوى دان
تحيّة مشتاق بها الدهر حيان
افانين وحى بين ذكر وقران
ورشت بطاحها سحائب ايمان
هو البحر طامّ فوق هضب وغيطان

وهل سال في بطن المسيل تشوقا
واذ زجروها بالحداء فهل ثنا
وهل عرسوا بدير عبدون ام سروا
سروا والدجا صبغ المطارف وانثى
وادلج في الاسحار بيض قباهم
لك الله من ركب يرى الارض خطوة
ارج بالمطايا قد تمشى بها الهوى
ويمّم بها الوادي المقدّس بالحما
واهدى حلول الحجر منه تحية
لقد قفحت من شيح يثرب نفحة
وقتت منها الشوق في القرّ منسكة
واذكرني نجداً وطيب عراره
احنّ الى تلك المعاهد انها
واهفوا مع الاشواق للوطن الذي
واصبوا الى اعلام مكة شيفا
أهيل الحما دينى على الزهر زورة
متى يشفى جفنى القسريح بنظرة
ومن لي بان يدنو لقام تعطفوا
سقى عهدكم بالحيف عهداً تمده
وانعم في شطّ العقيق اراكه
احى ربوعاً بين مروة والصفاء
ربوعاً بها تتلو الملائكة العلا
واول ارض باكرت عرصاتها
وعرس فيها للنسبوة موكب

وآدى بها الروح الامين رسالة
هنالك فضّ ختمها اشرف الورى
محمد خير العالمين باسرها
ومن بشرت ببعثه قبل كونه
ورحمة هذا الكون لولاه ما سمت
ولا زخرفت من جنة الخلد اربع
ولا طلعت شمس الهدى عن جنة
ولا احدثت بالمومنين شفاعاة
له معجزات اخرست كلّ جاحد
له شقّ قرص البدر شقين وارتوى
وانطقت الاصنام نطقاً تبرّات
دعى صرحة عجباً فلبّت واقبلت
وضاءت قصور الشام من نوره الذي
وقد نهج الانوا بدعوته التى
وانّ كتاب الله اعظم اية
وعدّ على شاور البليغ بيانه
نبى الهدى من اطلع الحقّ انجما
لعزّتها ذلّ الاكاسرة الاولى
واحرز للدين الحنفى بالظبا
ونقّع من سمّ النقا السمر قيصر
واضحت ربوع الشرك والكفر بلقعا
واصبحت السمحا تزوق نضارة
ايا خير اهل الارض بيتاً ومحتدا
فنّ للقوافي ان تحيط بوصفكم

افادت بها البشرى مدائح عنوان
وفخر نزار من معدّ بن عدنان
وسيد اهل الارض من انس وجان
نوامس كهّان واحبار رهبان
سماء ولا غاضت طوامى طوفان
تسبح فيها ادم حور وولدان
تحمّم من ديجورها ليل كفران
يزود بها عنهم زباني نصران
وسلّت عن المرتاب حارم برهان
بماء همى من كفه كلّ ظمان
الى الله فيه من زخاريف ميان
تجرّ ذبول الزهر ما بين افان
على كلّ افق نازل القطر او دان
كست اوجه الغبراء نهجة نسيان
بها اقتضح الميآن وابتاس الشان
فهميات منه سجع قيس وسحبان
نحى نورها اشراق افك وبهتان
هم سلبوا تيجانها ال ساسان
تراث ملوك الصين من عهد يونان
فجرّعه منه حجابة ثعبان
يناغى الصدا فيهنّ هاتف شيطان
ووجه الهدى بآدى الصباحة لدان
واكرم كلّ الخلق عجم وعربان
ولو ساجلت سبقاً مدائح حسان

ليك بعثاها اماني اجذبت
اجرني اذا ابدى الحساب جرائمي
فانت الذي لولا رسائل عزه
عليك سلام الله ما هبت الصبا
وحمل في جيب الجنوب تحية
الى العمرين صاحبك كليهما
وحى علياً عرفها واريحها
اليك رسول الله صممت عزمة
وخطبت منى القلب وهو مقلب
فيا ليت شعري هل ازم قلائصي
واطوى اديم الارض نحوك راحلا
يدتها فرط الحين الى الحما
وهل تمحون عني خطايا اقترقتها
وما ذا عسى يشي عناني وان لي
اذا قرّ عن زوارك الباس والغنى
عمادي الذي اوطا السماكين اخفا
متوج املاك الزمان وان سطحا
وقار اسود الغاب بالصيد مثلها
هزبر اذا زار البلاد زئيره
وان اطلعت غيم الغمام جيوشه
صبن على ارض العداة صواعقا
كتائب لوعلون رضوى لصدعت
عديد الحصا من كل اروع معلم
اذا جنّ ليل الحرب منهم صلى العدا

لتسقى بمزن من ايديك هتان
واثقلت الاوزان كفة ميزان
لما فتحت ابواب عفو وغفران
وماست على كتبها مله قضبان
بفوح بمسراها شذا كل تربان
وتلوهما في الفضل صهرك عثمان
ووالى على سبطيك اوفر رضوان
اذا ازمت فالشمل والغرب سيان
على جرة الاشواق فيك فلبان
اليك بدار او اقلقل كيزان
نواصي المهاري في صحصح قيعان
اذا غرد الحادي بهن وغنان
خطى لي في تلك البقاع واوطان
بالك جاهاً صفوة العز اوطان
نجود ابنك المنصور احمد اغنان
واوفى على السبع الطباق فادنان
احل السيوف في معاهد تيجان
اذا اضطرب الخطاء من فوق خزران
تضائل في اجامها اسد خفان
وارزم في مركوبه رعد نيران
اشلن عليهم بحر خسف ورجفان
صفاء الحيات الجرد تعدو بعقبان
وكل كمي بالردني طعان
هدتهم الى اوداجها شهب خرطان

وعقرن في وجه الثرا وجه بستان
تودى الحراج الجزل املاك سودان
ومن عترة سادوا الوري ال زيدان
ذوو همم قد عرست فوق كيوان
بدور اذا ما حلكت شهب ازمان
على هضبة العلياء ثابت اركان
بفضلهم ايات ذكر وفرقان
فناهيك من فخرين قرب وقربان
يجود باموال الرسالة ريان
معد على العرباء عاد وقحطان
ونافس بيتي في الولا بيت سلمان
فقسمي بالنصور ظاهرا رجحان
ومن عزه في مفرق الملك تاجان
يحوم بها فوق السماوات نسران
عليها وشاح من علاه وسمطان
على كبرياء الملك نخوة سلطان
وشاهدت كسرى العدل في صدر ايوان
انامله عرفاً تدفق خلجان
وباكر لروض في درى المجد قينان
وتفتحها ما بين سوس وسودان
فن ارض سودان الى ارض بغداد
على الحرمين او على راس غمدان
ووافقت بك البشرى لاطرف عمان
اتاك استلابا تاج كسرى وخاقان

من اللأى جر عن العدا غصص الردا
وفتحن اقطار البلاد فاصبحت
امام البرايا من على نجاره
دعائم ايمان واركان سودد
هم العلويون الذين وجوههم
وهم اهل بيت سيد الله سمكه
وفيهم فشا الذكر الحكيم وصرحت
فروع ابن عم المصطفى ووصيه
ودوحة مجد معشب الروض بالعلا
بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت
اولئك فخرى ان فخرت على الوري
اذا اقتسم المداح فضل فخارهم
امام له في جبهة الدهر مبسم
سما فوق همامات النجوم بهمة
واطلع في افق المعالي خلافة
اذا ما احتبي فوق الاسرة وارتنى
توسمت لقمان الحجا وهو ناطق
وان هزّه حر الشتاء تدفقت
ايا ناظر الاسلام شم بارق المنا
قضى الله في عليك ان تملك الدنيا
وانك تطوي الارض غير مدافع
وتملأها عدلاً يدق لواؤه
فكم هنات ارض العراق بك العلا
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم

ولو نشر الاملاك دهرك اصبحت
وشايحك السفاح يقتاد طائعا
فما المجد الا ما رفعت سماكه
وهاتيك ابكرك القوافي جلوتها
اتك امير المومنين كانها
تعاضن حسنا ان يقال شبيها
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها
ولا زلت بالنصر العزيز موزرا
عيلاً على عيلاء ابناء مروان
برايته السوداء ارض خراسان
على العمدة السمر الطوال ومران
ينار لها الحور في دار رضوان
لطائم مسك او خمائل بستان
فرائد درّ او قلائد عقيان
ولادين تحميه بملك سليمان
تقاد لك الاملاك في زيّ عبدان

قال في نفح الطيب اخبرني ناظمها انه اراد بقوله وناقس بيتي في الولا بيت
سلمان الذي منها لسان الدين ابن الخطيب اشارة الى ولاء الكتابة والخلافة
كما كان لسان الدين رحمه الله كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي
رضي الله عنه وهذه القصيدة على طولها من غرر القصائد ولذلك لم يذكر
في المنتقى من الامداد المنصورية غيرها وقد مدحها في نفح الطيب واثى
عليها جداً وتتبع ما قيل في هذا الاحتفال واقامة هذا المولد العديم المثال من
الامداد يفضي الى الطول وفي هذا القدر كفاية والله الموفق

ذكر الخبر عن سيرة المنصور

وعيون من انباء سياسته

كان المنصور رحمه الله حسن السياسة حازماً يقظاناً مشاوراً في قوام الامور
وقد اتخذ يوم الاربعاء للمشاورة وسماه يوم الديوان تجتمع فيه وجوه الدولة
واعيانها ويتطارحون فيه وجوه الراي فيما ينوب من جلائل الامور وعظام

النوازل وهناك تظهر شكاية من لم يجد سبيلاً للوصول للامير وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الحراج يوظف على الرعية اموالاً طائلة يلزمهم بادائها وزاد الامر على ما كان عليه الحال في عهد ابيه حسبما سلف ذلك مستوفياً في ترجمة ابيه وكانت الرعية تشكى منه بذلك ونالها اجحاف منه ومن عماله وكان غير متوقف في الدماء ولا هياب للوقعة في ذلك وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب من الاغضاء عن العورات والستر على الفضائح وقد المعنا لك بما يكون دالاً على ما وراء وذكر ابو زيد في الفوائد ما صورته عدى محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة في ضيعة له فشكاه للمنصور فقال له كم تساوي هذه الضيعة قال سبعمائة اوقية قال له خذها وقل لحالي الموعد بيني وبينك الموقف الذي لا اكون انا فيه سلطاناً ولا انت خال السلطان فرجع صاحب الضيعة حتى ادى له كلامه فامسك راسه بيده ساعة ثم قال له الحق ضيعتك وغرم له كل ما اكل منها انتهى بنصه ويحكى ان الفقيه قاضي الجماعة بفاس ابا مالك عبد الواحد الحميدي رحمه الله مرّ ذات يوم مع فقهاء فاس واعيانها لمراكش بقصد العيد مع المنصور كما هي العادة فمروا في طريقهم على سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم امرأة اخذها الطلق وهي في كرب المخاض فراوا من ذلك امرأً يحزن رائيه ويهمّ ناظره فبقى ذلك في خاطر القاضي فلما جلس مع المنصور التى له ذلك واطهر منه الشكاية فسكت عن جوابه المنصور وهجره على ذلك أياماً فلما فهم القاضي غضب المنصور تلطّف له في القول واطهر التوبة تما صدر منه وعده بادرة فقال له المنصور لولا ما رايت ما امكنت ان تجيء مع اصحابك عشرة ايام في امن ودعة فان اهل الغرب مجانين مارستانهم هي الحن من السلاسل والاغلال وكان للقاضي المذكور ادلال على المنصور لانه شيخه فكان المنصور يتحمّل منه لمكان الشيخوخة ولقد وفد عليه مرّة مع الطلبة في بعض المواسم فلما انصرفوا من الحضرة جمعهم الطريق بارباب الموسيقى واصحاب الاغاني من اهل فاس وقد كانوا وفدوا ايضاً معهم على سبيل

العادة فأخرج بعضهم شبابة من الأبريز مرصعة أعطاها له المنصور وبعضهم قال
أعطاني كذا وقال الآخر أجازني بكذا مما لم يعط مثله للقاضي وشيعته من الطلبة
فقال القاضي إن بلغت فاساً لأردن أولادي لصنعة الموسيقى فإن صنعة العلم كاسدة
ولولا أن الموسيقى هو العلم العزيز ما رجعنا مخففين ورجع الآتي بشبابة الأبريز
فقل كلامه هذا للمنصور فلدعه عليه من الملام يسير وحكى عن بعض الطلبة
أنه كان يوماً بين يدي المنصور فأنشد الطالب المذكور البيتين المشهورين

زماننا كاهله وأهله كما ترى

وخفض زماننا عند الانشاد للبيتين فقال له المنصور كيف خفضت الزمان فقال
له الطالب والله لاخفضته كما خفضني فأعجب ذلك المنصور وعده من حسن
الاعتذار وذكر أن بعض عمال المنصور عدى على امرأة من دكالة فأخذ لها
مالاً فقدمت المرأة لمراكش لتشكو له حيف عامله فلما شكت عليه لم يشكها
ولا كشف ظلامتها فخرجت لأولادها وقالت لهم انصرفوا فإني كنت أظن
أن راس العين صافية والآن حيث وجدتها مكدرة منها تكدرت مصارفها وأخبار
المنصور في هذا المعنى كثيرة

ذكر ما أنشاه المنصور من المثنائ وما وقع في أيامه

من الأحداث والكوائن

قال في مناهل الصفا للمنصور مصانع اخترعها ومثائر خلفها منها العقلان
الذنان أنشأهما بفاس أحدهما خارج باب الحيسة والآخر قبالة باب الفتوح
وهذان العقلان يعرفان عند العامة بالبساتين أحدهما بستيون وهما من الاتقان

بحيث لا يعرف قدرها الا من وقف عليهما ومن ذلك الحصان اللذان بناها
بشعر العرائش احدهما يسمى حصن الفتح وهما ايضا في نهاية الوثاق والحسن
ومن ذلك معاصر السكر فانه احدها بمراكش وبلاد حاحة وبلاد شفشواة
قال الفشتالي وكان ابتدا ذلك والده ابو عبد الله محمد الشيخ المهدي فكثر
السكر في ايامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة وقد تقدم انه اشترى الرخام
من عند النصارى بالسكر وذكر في المتقى المقصور ان المنصور في سنة ست
وتسعين وتسعمائة بعث الحصة العظيمة لجامع القرويين مع كرسى من المرمر
توضع عليه وزنها مائة قنطار وهذه الحصة هي التي تحت منار الجامع
المذكور وقال ابن المقاضى مؤلف المتقى فيما ينقش برقبها

امام دين الهدى المنصور شيدني	بحر المكارم من ابناء عمان
حزت المفاخر بالمنصور اجمعها	ومن علاء مقام المجد ارسان
من جاء يشكو الظما يوماً وقباني	اغناه ما قد همى من صوب اجفان
لا تنكرن وجود الدمع من فرح	فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئاً من السلسال لاجرج	معين دمع جرى من فيض خلجان
فخر السلاطين من ابناء فاطمة	من صيته شاع في اطراف عمان
وقد جرت مقلتي حكّت سحائبها	كفّ الحليفة من ابناء زيدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما	ما هيّجت عاشقاً ورق بافان
انشاني زمن التاريخ وافقه	للدين والاجر بحر الجود سوان

ومن علم الهندسة فائدة جيدة وهي ان قيل بأيّ شيء يتوصل الى معرفة وزن
هذه الحصة مع كرسيتها وانّ فيهما مائة قنطار مع ان الوزن لا يمكن في ذلك
غالباً فالجواب انّ كيفية التوصل لذلك ان توضع الحصة في افلوكة او سفينة
مثلاً ويرشم على الموضع الذي بلغه الماء من جرم تلك الافلوكة او السفينة

حيث وضعت فيها الحصة مثلاً ثم تخرج الحصة وتَمَلَا السفينة او الافلوكة بحجارة او بتراب او رمل حتى توضع في الماء ويبلغ الماء موضع الرشم فتخرج تلك الحجارة او التراب او الرمل ويوزن شيئاً فشيئاً فيتوصل بذلك الى معرفة مقدار وزن الشيء الثقيل هكذا ذكره ابن القاضي في جذوة الاقتباس اظنه حيث تكلم على صهرج الرخام الذي بالمدرسة المصباحية ورايت بها بخط شيخ شيوخنا العلامة المحقق ابي زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي رحمه الله ما معناه هذا اذا كان ما وضع في السفينة او الافلوكة مثلاً شيئاً ثقیلاً كالحجارة مثلاً واما لو وضع فيها شيء خفيف كالشعر او الصوف فلا يتوصل الى المقصود بذلك والله اعلم وفي عام سبعة وثمانين وتسعمائة وقع غلاء عظيم حتى عرّف ذلك العام بعام البقول ووقع سعال عظيم اصاب الناس عامة في بعض فصول ذلك العام فلا يزال الانسان يسعل الى ان تقبض روحه ولهذا سمي العام عام الكيحة وفي ايام ابي مروان عبد المالك ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير في برج العقرب وبقي يسيراً ثم ذهب وظهر بعده كوكب اخر ذو ذنب اصغر من الاول وظهر في ايام السلطان ابي محمد عبد الله الغالب في السماء نجمة كبيرة لم تكن معهودة ثم ظهرت في ايام ولده محمد بن عبد الله حمرة في الجوّ بناحية شرقية تبعها في الارض الاجناد التي جاء بها ابو مروان من الجزائر كما انه وقع اثر ظهور ذي الذنب جيوش النصارى التي جرّها محمد بن عبد الله لواذي المخازن وفي ثاني ذي القعدة عام سبعة وتسعين وتسعمائة اخلا النصارى دمرهم الله اصيلاً وحملهم على ذلك الرعب والخوف من المنصور ففسروا بانفسهم واولادهم وحمل ما خفّ من اموالهم وفي ذلك يقول ابو العباس احمد بن القاضي رحمه الله

يا ايها المنصور ابشر بالاعلا فالله بلغ في العدا المامولا
انصاركم سيفاً لحثف عداته وبكم غدا سيف الردا مفلولا

وهزمتهم الشراك المتين بعزكم من غير سيف قد يرى مسلولا
واذيت أكباد الحيث بهمة وقتحتهم دار العدا اصيلا
أكرم به من مالك بل صالح اخشى لبارود العداة خيلا
لا زال في افق العلا شمسا وفي عين العلاء يشاكل التكحिला

واشار بقوله الى بارود العداة خيلا لما عمله النصارى لما ارادوا الخروج من اصيلا حفروا تحت قصبتها حفيراً وملئوه باروداً واوقدوا فتيلة تبلغه عند مقدار دخول المسلمين فنجاهم الله من الوبال وكفى الله المؤمنين القتال وفي عام واحد والف اتى بالفيلة من بلاد السودان للمنصور وكان يوم دخولها لمراكش يوماً مشهوداً برز فيه كل من في المدينة لرؤيتها من رجال ونساء وصبية وشيوخ ثم في رمضان عام سبعة والف حملت لفاس ايضاً قال بعضهم وبسبب دخول هذه الفيلة للمغرب ظهرت هذه العشبة الحبيثة المسماة تبغة لأن السودان الذين قدموا يسوقون الفيلة قدموا بها يشربونها ويزعمون ان فيها منافع فشاعت عنهم في درعة ومراكش وغيرها من بقاع المغرب وتعارضت فيها فتاوي العلماء رضوان الله عليهم من لدن ظهورها فن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ومتوقف والعلم فيها عند الله تعالى وفي عام ثلاثة وتسعين ثار رجل يقال له الحاج قرقوش بجبال غمارة والهبط وتسمى بامير المؤمنين وكان في بدء امره حاكماً فلبس بالزهد والصلاح فاخذ وقتل وحمل راسه لمراكش وفي ذي القعدة من عام ستة وتسعين ارتحل المنصور فيهما هو في الطريق اذ واقفه البشري بالفتك بنصارى سبته وان زعيم الفئة الجهادية احمد النقيس كمن لهم مع جماعة من الفرسان في موضع فخرج النصارى باولادهم وحشمتهم وحالوا بينهم وبين سبته وكادوا يفتحون سبته وانشد له في ذلك الكاتب الارفع البليغ ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بيتين رجز له منهما فقال باستيلائه

هذه سبتة تزف عروسها نحو ناديك في شباب وشيب
وهي بشرى وانت كفؤ اللواتي كلفت بعدها بفتح قريب

وفي جمادى الاخرة من عام تسعة و الف كان سيل عظيم بفاس ثم في شعبان
من السنة كان سيل اعظم من الاول هدمت به الدور وتهدم سد الوادي
بفاس على وثاقه واحكامه وهذا السد هو الذي انشاه احمد الوطاسي ولما فرغ
من بنائه قال الامام سيدي علي ابن هارون

لقد سدّ الله راي العباد وابطل في السدّ راي الجهول
وقرب ما رame من بعد بمولاي احمد مدحى يطول
فطرداً وعكساً لساني ينادي عقول الملوك ملوك العقول

وقال فيه ايضاً الشيخ الامام ابو زكرياء سيدي يحيى بن السراج ما نصّه

الا سدّ الله راي الذي بتسديده سدّ سداً حصينا
وخلّد في عزّة ملكه ووالاه فتحاً ونصراً ميناً
امام الهدى احمد المرتضى ميد العدا عدّة المسلمينا

وقال فيه ايضاً الشيخ الامام ابو مالك عبد الواحد بن احمد الوثيرسي رحمه الله

ايا اهل فاس سدّ الله سدكم براي ابي العباس حامى حمى فاس
واحيا به اشجاركم وثماركم على رغم قوم منكبين من الناس
فدام ودام السعد يخدم سعده وفاز من الشكر الجميل باجناس

قال شيخ مشايخ شيوخنا الفقيه العالم سيدي محمد بن سعيد المرغيثي في فهرسته

عند قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ما نصّه فائدة عجيبّة من حكاية غريبة فيها موعظة كان رجل بمراكش يقال له عليّ الشمال في مدّة السلطان ابي العباس احمد المنصور فدخل يوماً من ايام الله فالتفت الى سريره فرأى غلاماً اسود فوق فراشه راقداً فصاح به وطلب سيفاً ليقتله فقال له الغلام امهل على نفسك فانك لا تقدر على بشيء فقال له لم قال انا شيطان سلطت عليك قال ولم سلطت على قال ويحك الم تسمع قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين قال الرجل نعم صدق الله العظيم ثم قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحمد لله ربّ العالمين واستمرّ يقرأ والشيطان يضعف ويذوب حتى غاب فصار الرجل يحتم القرءان كلّ يوم ختمة وصاحت حاله والحمد لله

ذكر مشاهير كتّابه ووزرائه

وولاية مظالمه وقضاة

أما كتّابه فكثيرون ومن اشهرهم ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم الفشتالي قال في درّة الحجال في حقه وزير القلم الاعلى ابو فارس عبد العزيز الصنهاجى ففيه اديب ناظم نثر وهو متولّى تاريخ الدولة المنصوريّة التاريخ المذكور في مجلّات اشتمل على تاريخ دولة ساداتنا الاشراف من اولها الى وقته على وقائعها ومغازيها وحوادثها وغير ذلك وعلى محاسن ابي العباس المنصور مولاي احمد الذهبي رحمه الله وآلف مدد الجيش اي جيش التوشيح لابن الخطيب السلماني وآلف مقدّمة في ترتيب ديوان المتنبّي على حروف المعجم وله من النظم الرائق كثير وكان رحمه الله واسع الايثار على الهمة متين الحرمة فصيح القلم زكيّ الشيم ذكيّ البلاغة والبراعة فارس الدواوين والبراعة اخذ عن جماعة

كاتب العباس المنجور وابي العباس الزموري وابي مالك عبد الواحد الحميدي وغيرهم من علماء الوقت ولد سنة ست وخمسين وتسعمائة . وذكر صاحب الاعلام ان من تاليفه شرح مقصورة المكودي رحمه الله وقال في نفع الطيب وكان سلطان المغرب المنصور يقول ان الفشتالي نفتخر به على ملوك الارض نباري به لسان الدين ابن الخطيب . ومما وقع له مع المنصور انه كتب له يشكو له بعض ما اهمه من دنياه فوقع له المنصور من نظمه بيتين بخطه وهما

يا كاتباً اذا كتب غرس روضاً ذا فتن
ان جوابي للذي يشكو دناؤا اردد حزن

يعني درهم هكذا وجدت هذين البيتين في بعض مسوداتي ولا ادري من اين نقلتهما وما احسن ما قال ابو علي الحسن المسفيوي المراكشي مما نقش في بعض مباني الكاتب ابي فارس عبد العزيز المذكور وذكرهما في نفع الطيب

اجل المعالي من قداح سرور	وادر كئوس الانس دون سرور
خلعت على عطف الهاء محاسني	فكسته في الافاق ثوب حبور
وتناشق الوشي المفرق حلتى	نشق الشذور على محور الحور
ساق القصور قصورها عن رتبة	لي بالهناء الممدود والمقصود
في المبتى المراكشي وافقه	ازري على الزوراء والخابور
اعلى مقامى البارع الاسمى الذي	قد حاز سبق النظم والمنثور
فاذا اقل بنانه اقلامه	بعث عقود السحر بين سطور
عبد العزيز اخو الجلالة كاتب	سر الخليفة احمد المنصور
لا زال في يمن وامن ما شئت	ورق بروض بالندا محصور

وقد ذكر في نفع الطيب مراسلة كتب بها اليه فراجعها وكانت وفاته رحمه الله

سنة اثنتين وثلاثين و ألف حسبما ذكره صاحبنا في كتاب الاعلام والى تاريخ
وفاته اشار الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن احمد المكلاتي لامية في
الوفيات فقال

يد النثر امست وهى شلاءً صاحباً به جيد هذا الدهر غير معطل

ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن عيسى وهو مؤلف كتاب الممدود
والمقصود من سنى السلطان ابي العباس المنصور ومن شعره

اذا الدهر اعطاك منه المنى فدعه فذاك العطا لا يدوم
ولا تامن عدله في الورى فما الدهر الا كقاضى سدوم

ومنه ايضاً

اذا نلت من ملك بلغة فكن بالذي نلت خير قنوع
ولا تامن عدله في الورى فان النزول بقدر الطلوع

ومنهم الكاتب ابو عبد الله محمد بن عمر الشاوي وكان اديباً وهو القائل في
هجو العدول

ان العدول الذي جاء الزمان بهم عن العدالة والتوفيق قد عدلوا
احداث سنّ والبَّابُ كسَنهم تالله لو شهدوا في الكلب ما قبلوا

وله ايضاً في مدح المنصور

فخر الخلائف ان عقدك واثق بانجح من علياكم ومحقق
قنوا لكم عمّ البسيطة كلّها لم يبق معه في البرية مملق

فألغرب يرفل في ثياب جمالكم وجلالكم يرتج منه المشرق
أمطر على سحاب جودك ثروة وانظر اليّ برحمة لا اغرق

وممنهم الكاتب البليغ أبو عبد الله محمد بن عليّ الوجديّ كان من صدور الطلبة
ومن قطوف ازهار الادب وبرع في الانشاء وقد رايت رسالة حلاه فيها أبو
فارس عبد العزيز الفشتاليّ بما يدلّ على علو همّته وسمو طبقة ومن شعره
جواباً عن لغز الفقيه أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم المسترأبيّ وهو

أحاجي فاضلاً حبراً نجيباً ليعرب عن ضمائرنا بفهم
فما اثنان استظالا واستداما وقد قسما ان زمان بدون ضم
وخلّ زاد لي بعد امتلاء ويشم ان يواصل ايّ سقم
وضيف جاءني من غير ارض فناولناه شاة دون عظم

ونصّ الجواب المذكور

فدتك النفس مولود اتاكم وتلك الشاة فاعلم ثدى أم
وذاك الحلّ ضاهى وجه حب وحسن سمائه يحلى بوهم
والاشنان اللذان قد استظالا نهار كان منه بديل يوم
وليل مثل عرض الارض طولا على أنّي عدمت فيه نوم
فدونك سيّد حلّ الاحاجي وعش ما دام قطر السحب يهم

ومن شعره ايضاً

وعشيّة قصرت بوصل جيب ياليتها سمحت بترك غروب
وكذلك اوقات السرور قصيرة مذ كانت الملقيا بغير رقيب

ومن خطّ ابن القاضي رحمه الله ما صورته انشدني بمراكش ابو عبد الله
الوجداني لنفسه في ربيع الثاني عام ستّة و الف

لبس الصفرة كي يزهو بها شادن من جنة الخلد نفر
خلته من حسنه لما بدى هالة المسجد وسطها القمر

وانشدني لنفسه ايضاً

وصفراء كالشمس المنيرة نورها لها في خدود الشارين مطالع
اذا لمعت في الكاس قال مديرها ابدر بدا من جانب الغور لامع

توفّي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين و الف ذكره في الاعلام ومنهم الاديب البليغ
الكاتب ابو الحسن علي بن احمد الشامي واولاد الشامي يتمون للخزرج ولهم
مصاهرة مع المنصور وكان ابو الحسن فقيهاً مشاركاً وله نظم رائع ذكر منه
المقري في كتابه فتح المتعال في مدح النعال جملة وافرة توفّي عام اثنين وثلاثين
و الف ذكره ايضاً في الاعلام ومنهم الكاتب الشهير الصدر ابو عبد الله محمد بن
علي الفشتالي وهو صاحب الوفيات نظماً على روى اللام وله شعر حسن ذكرنا
منه فيما سلف جملة وممن يعدّ في الكتاب وان كان قدره اعلا من الكتابة
الفقيه الاديب الاوحد الاريب ابو عبد الله محمد بن يعقوب من ايث يوسى
قبيلة من البربر بسوس وكان صدر الادباء في وقته بمراكش وغيرها بحيث كان
الكتاب يرجعون اليه في عويص المكاتبات ويترافعون اليه في حلّ المشكلات
والمهمّات وحسبك أنّ الامام ابا العباس احمد بابا السوداني نقل عنه في كفاية
المحتاج ووصفه بالثقة الناقد وقال فيه انّي لم الف بالمغرب اثبت ولا اصدق ولا
اعرف بطرق العلم منه . ولا بن يعقوب هذا في فهرسته شعر حسن ومن نظمه
في البهائم التي تدخل الجنة

وكبش الديبج ثم هدهد ذو النبا حمار عزيز ثم ناقة صالح
وعجل الخليل ثم ناقة احمد كذا كلب اهل الكهف افضل نايج
وصفراء موسى لونها سرّ ناظر ونمالة قالت وهي انصح ناصح
تحلّ جناناً ثم ساج يونس مقاتلهم يروى اذا ذو النصائح

ومن شعره قوله

ابيت كانّ في العيون مراودا سميراً ولا تحلو لدى المراقد
اهيم بامر لو وجدت مساعدا اذا عظم المطلوب قلّ المساعد

وعارضه ابو العباس احمد بن القاضي فقال

وقائّة ما لا ارى لك ناصرا وانت غريب في الانام مباعدا
فقلت لها من المعالي مطالبي اذا عظم المطلوب قلّ المساعد

وبالجملة فكتب المنصور لا يستوفيهما الحصر وفي هذا القدر الذي ذكرناه
كفاية والله الموفق وآما وزراؤه فذكر في شرح درّة السلوك منهم عبد العزيز
بن سعيد المزوار المعروف بولد مولات الناس وقال في درّة الحجال في حقّه
مانصّه عبد العزيز بن منصور الوزكيّ صاحب احمد الذهبيّ رحمهما الله يعرف
بالقائد عزّوز صاحب جبل درن من ولد مسعود بن واركاس قائد الناصر
الموحّديّ بغزوة العقاب من بلاد الاندلس عرف بجده المذكور صاحب
روض القرطاس ولعبد العزيز هذا همّة في المعالي وجمع الكتب العلميّة ويقال
انه كان عنده من الدفاتر خمسون الف مجلّد ولد رحمه الله بتارودانت سنة ست
وخسين وتسعمائة وبيتهم بجبل درن بيت عظيم معتبر . ومنهم مولود مولاه
والناصر بن عليّ بن شقرا وذكر صاحب الفوائد قال كان في الدولة المنصوريّة

شاعر يسمى الدائم وكان هجاءً مداحاً فمن مدحه في القائد ابراهيم السفينى قوله

له في ظلام الليل وقفة راهب وعند اصطلاء الحرب حرمة ماجد

وقال في الشرطى وهو محمد بن محمد بن الحسن المعروف بالمسمار

كم من سيوف مضت سلّ الزمان بها اطامع بعدها في الحلد مسمار

وقال في القائد موهن بن ملوك العليج

فان كان كلّ المسومنين كمومن فلا حلت في المومنين الحوامل

وامّا ولاية مظالمه فقال ابن القاضى ايضاً منهم ابو الحسن على بن سليمان التاملى
ابن ابن اخى الفقيه المعظم الحسن بن عثمان وقد وصفه الفقيه سيدي عبد
الرحمن التلمسانى ثم الردائى في بعض اسئلته بالامين الناصح والفقيه الصالح وقد
تقدّم ما وصفه به المنجور في ترجمة عمّ الفقيه المتقدّم وكان وليّ المظالم للسلطان
ابى محمد عبد الله الغالب بالله كما سلف وهو اول من قطن بالمواسين من اهل
بيته وفيهم يقول الفقيه الاديب اللوذعى الايب سليمان بن ابراهيم بن سليمان

بالله ان وطئت مرّاً كشاً قدمك وجزّت يوماً على تلك البساتين
الا تقدّم امراً قد هممت به حتى تحكى سكّان المواسين

وامّا قضائه فبمرّاكش الفقيه القاضى ابو القاسم بن على الشاطبى ولى القضاء
مدة طويلة وله يقول الفقيه الاديب النائر الناطم ابو فارس عبد العزيز
بن محمد الفشتالى

تولّى القضاء بمرّاكش فقيه له همّة عالية

يواسى القريب ويعطى البعيد
ولا عيب فيه سوى أنه
وتحكم فيه فهو لها
سانشده قول من قد مضى
فيا ليت له لم يكن قاضياً
ويسرد احكامه الماضية
تغلبه امه جارية
مطيع وهى له عاصية
لان القوافي له داعية
ويا ليتها كانت القاضية

فاجابه ابو القاسم بقوله

اعبد العزيز القبيح الصفات
اتطمع يا ندل في خطتي
اما تذكرن زماناً مضى
فطوراً تقود وطوراً تجول
فكن كايك اللئيم الذي
ولا تتعرض الى خطتي
تعرضت ويحك للمهلكات
وانت جهول بحكم الصلات
وانت وعربك عند الرمات
عليهم باستك ماض وات
يواسى العصاة ويقضى العفات
فان لساني يشق الحصات

توفى الشاطبي رحمه الله عام اثنين والالف وتولى القضاء بعده ابو عبد الله محمد
بن عبد الله الرجزى المعروف ببو عبدلي وكان من صدور علماء وقته جادل
علماء فاس فحجهم توفى رحمه الله عام اثنين وعشرين والالف وفي تاريخ وفاته
يقول ابو عبد الله المكلاطي في لاميته

واما ابن عبد الله قتل شبيهه
فيا لك من قاض ذكى معدّل

وكان قاضيه بفاس الفقيه العالم الصدر ابو مالك عبد الواحد بن احمد الحميدي
وكان فقيهاً عارفاً بمختصر خليل داوياً على تدريسه مع المشاركة في غيره من
العلوم وكان اول ولايته للقضاء في أيام السلطان ابي محمد عبد الله الغالب بالله

عام سبعين وتسعمائة وكان السلطان المعتمد نعم مرة عليه شيا فسيجنه مدة
فبعث بأولاده للشيخ سيدي رضوان يطلب منه ان يشفع له عند السلطان
المعتمد فكتب له سيدي رضوان بخط يده يحضه على الاستشفاع بالنبي صلى
الله عليه وسلم والاستمسك بحبله الاعصم لآله باب الله الاعظم بيتهن وهما
هذين كما ترى

ما للنوازل والخطوب تنهوا ألا الزعيم ومن يقول انا لها
قالوا العنان ببابه مستشفعا وات اليوت اخي من ابوابها

فقبل القاضي اشارته وتوجه الى ربه بكلمته فاتاه الفرج في الحين وليسيدي
رضوان ايضا في هذا المعنى

واذا الكريم سألته بحبيبه حاشى وكلا ان يحيب سائلا
ومن الكريم سواك رب العالمين ومن الحبيب سوى من اصبح كاملا
وهو النبي محمد اكرم به ساد الانام واخرا واوائلا

وقال ابن القاضي في جذوة الاقتباس حينما قرأته بخطه ألا أنه شطب عليه
بالحرمة ما نصه عبد الواحد بن احمد الحميدي الفقيه القاضي بمدينة فاس كان
حافظا لمذهب ملك ألا أنه نبذ الشريعة الحمديدية وراء ظهره وكان يحكم بموافقة
شهوته مع علمه بالفقه ولا يبالي بما فعل فيها حتى اكتسب هو ومن والاه
اموالا جليلة لا حصر لها ولما توفى قال فيه صاحبنا الوزير عبد الرحمن بن
ابراهيم المسترأى

تولى الحميدي واحزابه وایم دولته الغاوية
ومات وخفت موازنه وحار الى آمة الهاوية

وكان القاضي الحميدي المذكور اديباً شاعراً جيداً ومن شعره قوله

ما لم يكن للعلم عند فناءه راج فان بقاء كفنائه
بالعلم يحيي المرء طول حياته فاذا انقضت احياء حسن ثنائه

وقال ايضاً في طالب كان يعرف بعثمان الذبذوبي وكان كثير الجدال ما نصه

وصوت عثمان لدى المجالس كصوت بلبال من العتارس
ليس له فهم ولا له نظر جزاؤه الضرب باذناب البقر

وقال ايضاً في طالب اخر يعرف بالحمام وقد سرقت ثيابه من الحمام ما نصه

فلو رايت مشية الحمام خرج عرياناً من الحمام
بصلعة بيضاء كالثغامة يشبه في مشيته اسامه

توفي رحمه الله عام ثلثه والفر كانت بينه وبين المنجور منافسة حتى ان السلطان المنصور قدم المنجور مرة للصلاة فلما اراد المنجور ان يدخل المحراب منعه الحميدي فقال له السلطان دعه فقد قدمه علمه فقال الحميدي ان قدمه علمه فقد اخره نسبه والله يسامح الجميع بمنه واما قاضيه بتينبكت من بلاد السودان فالقاضي ابو جعفر عمر بن العاقب الصنهاجي وهو قاضي الجماعة ببلاد السودان وما والاها

ذكر الخبر عن ولي عهد المنصور وهو ولده ابو عبد الله

مولانا المامون المعروف بالشيخ

كان ابو عبد الله محمد الشيخ المامون ولي العهد كما تقدم وكان خليفة لابييه على فاس وما والاها من عمالاتها المغربية كثيراً من حياة ابيه وكان لامنصور اعتناء

تأم به واهتمام عام بشأنه حتى قيل ان المنصور لا يحتم على ربيعة من المال الا
قال جعل الله فتحها على يد الشيخ رجاء ان يقوم بالامر بعده ويسوس الرعية
مثله فلم يساعده القدر المحتوم السابق المرسوم كما قيل

ما كل ما يتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقد وقفت على رسالة كتب بها المنصور ونصها من عبد الله سبحانه المجاهد
في سبيل الله امير المؤمنين ابي العباس المنصور بالله ابن امير المؤمنين ابي عبد
الله محمد الشيخ المهدي الشريف الحسنى ايد الله بعزير نصره اوامره وظفر
بيمينه ومنه عساكره الى ولدنا ولي عهدنا الامير الاجل الاعز الافضل بابا
الشيخ وصل الله كالكم وسنا من خير الدارين امالكم سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته اما بعد فكتبنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله ولا جدير
الا ما عدده مولانا من الخير لله الحمد وله المنة هذا والذي اوجبه اليكم اسعدكم
الله وكلامك انه بلغنا انكم قد استخدمتم هناك جماعة من اولاد طلحة كاوولاد
اخى على بن محمد واخى محمد بن ملوك وغير هولاء وانك قد فرضت
عليهم في اعطياتهم نحو خمسة الاف والى هذا اى مصلحة ظهرت لك
في استخدام هولاء القوم حتى تتحمل كلفة فرض هذه الفروض
بل ما في ذلك الا الفساد البين لان الذي فرضتم لا يفي به المغرب ولا
يقوم بكم شئ ومساللة هولاء اولاد طلحة ان كنت رايت استخدامنا
لهم وارادت تقليدنا في ذلك واقتفاء سيرتنا فيه فاعلم ان بيتنا وبينكم فرقا
من وجوه منها ان مدينة مراكش ليست كمدينة فاس وان خدمتهم هنا
لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك وايضا هولاء الناس انا اعرفهم
وكنت في بلادهم وهذه الخدمة كانوا يطلبونها منى وانا هنالك فواعدهم بها اذ
لا يمكنى وانا في بلادهم الا مساعقتهم فلما جاءوا اليوم وطلبوني بالوعده لم

يتمكن لي إلا الوفاء لهم به وعليه شرطنا عليهم مراكش وسكنائها وعلى هذا الشرط المذكور استخدمنا منهم من استخدمناه مع هذه الوجوه والاعتبارات كلها فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة وأنا في ذلك على خطأ إذ كان الأولى أن نكون حاستهم وتركهم من الخدمة وأما أنت ففي مندوحة من هذا كله لأنه لا وعد لك سابق لهم حتى يلزمك الوفاء به ويمكنك أن تخليهم من أذننا ومشورتنا فتكفيهم عنك بالشرط الذي شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكنائها وعلى هذا الشرط استخدمنا منهم من استخدمنا وإلى هذا فالذي تؤكد به عليك أن تنقضهم من الخدمة ولا تستخدم منهم ولو فارساً واحداً أصلاً ومن الذين ذكرنا لك ومن غيرهم كافة من أولاد طليحة وامرناك أن تنصل منهم وتقول لهم أن أسلطان منعى من استخدامكم هنا وتقرأ عليهم كتابنا الواصل إليكم حجة هذا لتفادي منهم ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره لهم بل تحسن اللقاء بهم وتواليهم باظهار البشر والقبول وباب الطمع تسده دونهم والذي شق علينا اعظم من هذا كله واستكرناه ولم نجد صبراً عليه هو ما وجدناه قد اطلع عليه أولاد طليحة علي بن محمد وغيره من اخوانهم في اخباركم والفيئانهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه والله احد من كبار خدامكم اهل بلادنا وخواص اهل بساتنا لأن اهل بلادنا احياء ما لهم بحث إلا في مصالح انفسهم وهولاء إنما يحثون على القوة وعورة المملكة فاذا بكم تستخدمونهم بطانة واصدقاء وتطالعونهم على اموركم واحوالكم مع أن القوم ما زالوا ببلاد العدو وبين اظهرة وأما الذي يطالعونه نحتاج نقطع ونجزم فإن الترك قد اطلعوا عليه حتى كانتهم شاهدوه ووقفوا عليه بانفسهم وايضاً لو كانوا اصدقاء ولا يريدون بها إلا الخير فالقوم عرب لا يتحفظون على ما يطالعون ولا يفهمون ما يحسن اخفاؤه ولا ابداءه ولا يتماكون من انفسهم قولاً ولا نطقاً وبالجملة فقد احرقنا هذه المسألة وتفطرت لها اكادنا وصارت قلوبنا منها مطعونة وهل ما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في

اقل الامور ان يطالع عليها الاجانب وان كانوا احب من كل حبيب واقرب من كل قريب وما عندكم علم ان اخانا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جداً اراد ان يطلبه لاختنسا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار ولم يرد بابا منصور لفظته ان يذكر ذلك حتى يشاور فيه من بازائه لئلا يكون في ذكر ذلك بمحضره عيب فشاور فيه القائد دح بن فرج كان بازائه فقال له هذا الرجل برائي فلا تطلب شيئاً قدّامه على ان منصور بن المزوار هذا كان مع اسلافنا من اقرب ما اليهم من خواصّ الخدام اهل بساطنا محبة وقرباً لانه كان سلف له معهم حرمة عظيمة فقد كان عدواً للترك وبينه وبينهم ارواح كثيرة وحضر مع اخينا بابا حمّ الحران جميع ما كان في تلك البلاد من الوقائع العظام وغيرها أيام استيلائه على المغرب الاوسط ثم مع بابا عبد القادر كذلك وشرب معهم الحلوة والمرّة ولما جاء من تلمسان جاء باولاد منها راجلاً كما جاء منها بابا عبد الله باولاده وكما جاء منهم خدامنا اهل هذه البلاد وما زال على الخدمة والوفاء وحسن العهد حتى حصلت له حرمة عظيمة مع اسلافنا وناهيك بمن بلغ الى ان قلده تازى ثم بلاد الفحص التي لا تعطى كلتاها الا لاقرب الخدام انوثوق بمحبّتهم وقربهم وخدمتهم ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصداقة وهجرة وانقطاعاً حتى انه في دخول ريس الترك لفاس رحل باولاده الى هنا مع السلطان كما فعل اهل هذه البلدة وحين دخلنا نحن ايضاً من جهة الشرق لفاس رحلوا ايضاً مع صاحب الجبل لمراكش ولا يعدوا انفسهم من هذا الجانب ابداً في الحديث ثم ان الناس استعاروا ان يطلبوا اقل المسائل بمحضره وقالوا انه برائي فضلاً عن هؤلاء الذين لم يزلوا الى اليوم في بلاد العدو يباكرونه ويرأحوه فاذا بكم تنزلون معهم الى ان تطالعوهم على اموركم ويتوصلون الى المعرفة باحوالكم فما تمالكنا لهذه المسألة ومن جملة الامور التي غاظتنا وقتلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى امثال هذه فان على بن محمد كان يتكلم يوماً معنا واخذ يثنى عليكم في نحمدتكم وصبركم عند الشدة

وسخائكم عند الحاجة ثم قال ألا أن الحيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية لأن القبائل اهل الحيل امتنعوا من الحركة معه وهى التى غاظتى وقلت كيف يتوصل الرجل البراني الى امثال هذه حتى انا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا أنهم اعتقدوه وقلنا لهم نسبة التقصير اليكم ولا اعتقادهم خلو البلاد من الحيل لأننا فهمنا منهم ذلك ولهذا اجبته وقلت له ان ولدنا لم يعط لهم شيئاً واعطى لمن لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال من غير مصلحة وعدم الخازنية ولو اعطى لتلك القبائل لحصرها عليه لأن اولاد مطاع عندهم من الحيل نحو الثلاثة الاف وعند اولاد ابي عزيز نحو الالف والنصف وعند العزفي وعند اولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند اولاد ابي راس وعند احمر وعند المنابهة اهل سايس وعند المنابهة اصحاب عمر بن محمد بن عب وجعلت اعداء قبائل اهل سوس وقبائل مراكش واحصى له خيلهم بما ابته وقلت له لو انصفهم لحرك منهم ستة عشر الفا وأكثر ويكون قد ملا بهم تلك البلاد وسال عليها منهم سيل عرم لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ولو وجه اليهم المحركين واثرمة لتوجه لهم ايضاً بما لا طاقة لهم به منهم ولا خلاص والى هذا فاننا نوصيكم ونندبكم الى المحافظة من اولائك الناس ومن رفع الحجاب لهم عن اموركم والاطلاع على احوالكم وعدم الغفلة عن مثل هذا واعلم ان من جملة ما بلغنا ايضاً أن الخلط كلهم رجعوا رماة على يد مصطفى مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف وكنا انتشينا معهم بالعودات فاذا بهم اليوم بالمدافع وعدة التبار وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم حتى تسمعها بالسماع فقط ولا طويلة العهد حتى تنساها بل بالامس شاهدت وباشرت ورايت فما الذي انساك فعلهم وما زال جرحهم الان لم يبر لأن خروج القائد مومن الخارج الان ما كان الا اليهم والان نوكد عليك ان تنقضهم من الخدمة ولا تسمع لمصطفى ولا لغيره في هذه المسألة وقد سمعت ايضاً ان قواد الفساد

الذين عندهم من اولاد حسين قد صارت حلتهم من باب الخيس الى دار
 الديبغ وكانكم نستم ايضاً عمل اولاد حسين بالامس دون بعد من النهب وما
 اضرمو من نار الفساد والعبث في البلاد حتى ينزلوا تلك المنازل والى هذا
 فساعة وصوله اليك تقبض على قياد الفساد هولاء خصوصاً احمد بن عبد الحق
 من اولاد يحيى بن غانم الذي كان ابوه حاجباً عند المرنى فهو اصل الفساد
 ثم لا تترك لقبائلم جناحاً واحداً وتزيد للقائد مؤمن بن ملوك الف رام
 ليستوفى بكم الغرض في هولاء وامثالهم من كل ما قاوموه به لان بقاء الرماة
 هنالك ما فيه الا الاشتغال بالفساد بالمدينة فتحتاج ان تتولاهم بالقتل كل يوم
 باطلاً فكان خروجهم اذاًك دفعاً لمضرتهم وجلباً للمصالح بهم اولى وحتى
 الكاتب اللائق بامثالكم ورسائلكم لم يكن عندهم الان فان كتبكم تأتي بخط
 سالم وهو غير عارف بالانشاء وتارة بخط الكرني وهو جاهل مع انك كنت
 خليفته وولي عهدنا فانت بصد ان يكتب لك كل احد امّا صاحب الجزائر
 واما صاحب تونس وحتى صاحب الترك وصاحب النصارى وكل من يكتب لنا
 من ملوك الارض بصد ان يكتب لك فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب
 عنك لكل من يكتب اليك ويكون ايضاً ممن يوثق به في المحافظة على اسراركم
 والى هذا فلا بد من تعيين قائد الحلة وحاجب وكاتب سرّك واصحاب مشورتك
 وصاحب المظالم كما هو عندنا سيدي على بن سليمان واعلم انّ مما نحتاج ان ننبهك
 اليه مسألة القيادة الذين يريدون ان يحملوك اثقال اولادهم مثل ما فعلت في
 اولاد القائد بركة واخوته الذين استخدمتهم وعملت لهم خسماية اوقية فنوكّد
 عليك الا تستخدم منهم احداً فما اعطيناه له سلا الا ليرفع فيها اولاده واخوته
 وكذلك الحكم في امثاله من كل ما اعطيناه عملاً وقلدناه القيادة ومن جملة من
 نحذرك من استخدامه في الرماة اهل الجبال من اهل الصخرة والدينار فلا
 تستخدم منهم احداً والا فاعلموا انكم ما اردتم ان يعطوا لكم حينئذ ولا ان
 يغرموا لكم بعد شيئاً واذا اردتم الخدمة فما هم اهل هذه البلاد مثل اهل

سوس واهل درعة واهل مرآكش فكلّ ما تستخدمون من هولاء فلا عليكم
واذا لم يكن هولاء وكان ولا بدّ من غيرهم فمن اهل فاس سكّان الحاضرة وأما
من عداهم فلا على أنّ الرماة اهل سوس ها هي هنا عندنا كثيرة فكلّما تريد
منهم عرفنا به نبعثهم ونضيفهم الى خدمتك ونوكّد عليك ان تكاتبنا بجواب
هذه الامور كلّها فصلاً فصلاً مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله
ولا بدّ وهذا موجه اليكم والله يحرس بمنه علاكم والسلام وفي مهلّ جمادي
الاولى من عام احد عشر والف

ذكر الخبر عن سفر المنصور من مرآكش لفاس

حرسها الله وسبب ذلك

تقدّم أنّ الشيخ المامون بن المنصور كان خليفة لابيّه على فاس الاّ أنّه اساء
السيرة واضرّ بالرعية وكان فسيقاً خبيث الطوية مولعاً بالعبث بالصبيان مدمناً
للخمور سفاكاً للدماء غير مكترث بامور الدين من الصلاة وشرائطها ولما ظهر
فساده وتبين للناس عواره نهاه القائد ابراهيم السفيناني وزير ابيه عن سوء فعله
فلم يته واستمرّ على قبحه فاعاد عليه فلما أكثر عليه من التقرّيع والتوبيخ سقاء
السم فكان فيه حتف ابراهيم وكان ممّا انكر عليه أنّه قبض على كاتب ابيه ابي
عبد الله محمد بن عيسى المتقدّم الذكر ووظّف عليه مالاً وبزّه ذخائره واخذ
ماله حتّى كان ممّا اخذ فيه ثمانين حسكة مذهّبة ومائة نخت من الملف المختلف
الالوان فلما كثرت قبائحهم وتردّدت الشكاية به لابيّه كتب له ان ينكف عن
غيّه ويتزجر عن خبثه وسوء رايه فما زاده التحذير الاّ اغراء فلما رأى
المنصور أنّه لم يكثرث بامرّه ولم يزدجر عن جنايته وشرهه عزم على التوجّه
لفاس بقصد ان يكر به ويؤدّبه بما يكون رادعاً له فسمع الشيخ بذلك فجمع

عسكره وهباً جنده ودفع المرتب لاصحابه وعدد جيشه فكان فيما قيل اثنين وعشرين الفا كلهم بكساوي الملف والحرير على احسن شارة واكمل زي وعزم ان بلغه مخرج ابيه من مراكش ان يتوجه في اصحابه الى تلمسان ويستجير بالاتراك فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان تخلف عن الخروج من مراكش فصار يلاطفه ويامرہ الا يفعل وولاه سجلماسة ودرعة وتخلّى به عن خراجهما وقال له قد سوغتكم ولا اطالبك به ومراده بذلك كله ان تسكن نفرتة ويرجع اليه عقله فظهر الشيخ امتثال الامر وخرج يوماً ماراً لسجلماسة فما انفصل عن فاس بشيء يسير حتى رجع لها وعاد لما كان عاكفاً عليه فبعث المنصور اعيان مراكش وعلماءها فصحوه ووعظوه وخوفوه سخط والده وحذروه من العقوق ولم يالوا جهداً في النصيحة له فوجدوه مشغول القلب عن نصائحهم معصور الذهن بخلاف قولهم الا انه اظهر الرجوع عما كان عازماً عليه من النفار من ابيه وقصر في الظاهر عن قبائحه فرجع الاعيان والعلماء للمنصور لمراكش وقالوا له انه تاب وحسنت حاله واطمأنت نفسه وانه وافق عند الامر والتهي فلم يطمئن المنصور لقولهم وقال لهم لعل هذا اصلاح للشحناء وكذب لاصلاح الخاطرين ثم لم يلبث المنصور ان يبعث لولده زيدان وكان خليفة بتادلا يامرہ ان يرسل مائة من الفرسان على طريق تاقيات وكل من وجدوه قاصداً للغرب من ناحية مراكش يردوه وارسل مولاه مسعوداً لدوران يقف على طريق سلا ويفعل مثل ذلك وخلف ولده ابا فارس على مراكش وخرج حينئذ المنصور من مراكش في اثني عشر الف من الحيل وكان خروجه في اوائل جمادي الاولى عام احد عشر والف وحدث السير فلم تمض الا ايام قلائد حتى نزل بالداروج موضع قريب من مكناس وفاس والشيخ في جميع ذلك لا شعور له بخروج ابيه ولا بما هو عليه فبعث يوماً عيونہ يرصدون له من قدم من مراكش ويكشفون له عن الخبر فما راعهم الا الاباطيح سائلة باعثة الجياد وافواه الشعب تقذف الجيوش

من بطون الاودية لأنهم قد عميت عليهم الانباء بقطع المنصور للسابلة فرجعوا
للشيخ مسرعين والرعب يفت في اعضائهم ويطفئ لدبرة عزائمهم فقصوا عليه
ما دهمهم واخبروه بما راوا فعلم انه محاط به فلم يمكنه الا الفرار فركب من
حينه وهرب لزاوية الولي الصالح ابي الشتاء ببلاد فشتالة قرب نهر ورغة وكان
سيدي ابو الشتاء قد توفي قبل ذلك بما يقرب من خمسة عشر سنة لأن وفاته
كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة كما في المرات بالموحدة في الاول والمتاة في
الثاني فنزل بالزاوية ومعه بطانته واصحاب دخلته من الاحداث واتباع السوء
فباغ خبره للمنصور فوجه له الباشا جودر والقائد منصور النبلي وحلف لهما
باغظ الايمان ان لم ياتيا به ليحكرن بهما ويجعلهما عبرة فذهبا اليه فامتنع من
الدخول في يدهما وانزل باصحابه حتى تراموا بالنبل وناولهم القتال فقبضوا
عليه في حكاية طويلة فامر به المنصور ان يسجن بمكناس فسجن بها ودخل
المنصور لدار الملك من فاس الجديد وشكر الله على ما اولاه من الظفر به
والنصر عليه من غير اراقة دم وتصدق لذلك بأموال عظيمة ثم ان ام الشيخ
الحيزران بعثت الى اعيان مراكش الذين قدموا مع المنصور ترغيبهم ان يستشفعوا
لولدها عند ابيه ويعتذروا عنه بما يزيل ما في خاطره عليه فتقدموا للمنصور
ورغبوه وطلبوا منه السماح له والتجاوز عنه وقالوا له ان الشيخ تاب لله عما
كان عازماً عليه وانه ندم على ما فرط وصلحت حاله فقال لهم المنصور اذهبوا
لمكناس واختبروا امره كائناً ما كان وانظروا هل رجع عن اباطيله وتنصل
من اضاليه ام لا فلما اتوه وجدوه اخبث مما تركوه وعانوا منه من القبايح
ما يقصر عن وصفها اللسان فلما جلسوا معه في محبسه لم يسألهم عن شيء الا
عن اصحاب بطانته وقرناء السوء من اهل غيه وخلاته ولم يظهر الاسف الا
على تلك العصاة وراهم اهل الاصابة وكان من الاعيان الذين وجههم
المنصور لذلك أولاً واخراً اولاد سيدي ابي عمر القسطلّي واولاد سيدي عبد
الله بن ساسي واولاد سيدي يحيى بن بكّار وغيرهم فلما رجعوا من مكناسة

الى المنصور سالهم عن الخبر فوافق بعضهم وقالوا وجدناه تائباً نادماً على ما صدر منه وتكلم اولاد عبد الله بن ساسى وقال بعضهم والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت امير المؤمنين بالحديعة وقال له ان ولدك والله لا تاذن لك ان تؤمره على شى ولا تحكمه على عيال الله سبحانه فانا وجدناه خيـث الطوية قبيح السريرة والنية لم يندم على ما فرط ولا تاب عن فعل وشطط فسكت الحاضرون ولم يتكلم احد فقال لهم المنصور اقتوني في امر هذا الولد فلم يجبه احد الا باشته السيد عبد العزيز بن سعيد الوزكى فانه قال الراى ان تقتله فانه لا يخبر امرء ولا يرجى صلاحه وخيره وقد رايت ما صنع فلم يعجب المنصور ذلك وقال كيف اقل ولدي فبعث بالتضييق على الشيخ والزيادة في الحبس عليه وخرج المنصور فنزل بمحلته بظهر الزاوية قاصداً لمراكش واستخلف ولده زيدان على فاس ومن هناك كتب المنصور رسالة لولده خليفته على مراكش ابى فارس يعلمه بما وقع في ذلك ونصها من اولها الى اخرها: الى ولدنا الاجل الارضى الافضل المرتضى الامجد الاسمى الاسعد الاسنى بابا ابى فارس وصل الله كالكم وسنى بمنه امالكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكتابنا هذا اليكم اسعدكم الله من محلتنا السعيدة بالمستقى ولا ناشئ الا ما جرت به الاقدار وحكم به الفاعل المختار ويحاً به من عجائب الدهر الليل والنهار وهو قضية اخيكم التى ثارت الى بها صروف الدهر من مكمنى وطلعت على مأمنى الا ان الله تعالى بصنعه الجميل كفانا اولاً ثم شفانا اخرأ له الحمد دائب وله الشكر واجب وشرح ذلك اسعدكم الله ووقاكم السوء كان انتهى في معالجة امره الذي تجاوزنا في وجه الخير اليه حد الاستقصاء واتينا في محاولة استصلاحه من احوال السياسة المرجوة النجاح ما لا يحصى الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة وابحنا له التوجه اليها بجملته وجمعه رجاء ان تسكن بالانتباز اليها نفرته وتطمئن نفسه وينوب اليه قلبه الطائر ويراجعه انسه النافر فاطهر اولاً التوجه اليها ونهض مرتحلاً عن فاس مورياً

شان القدوم عليها ثم بدا له في الحين وكرر راجعاً لفاس ورجونا ان يكون قد ذهب عنه النفار والشماس وآب لنفسه السكون والاستيناس فاذا به في رجوعه قد انطوى على خلاف ما اظهر وابدى غير ما اضر فسا كان الا ان وصله خبر نزولنا بالداروج فلم يتمالك ان اقلع ليلة الخميس خامس عشر شهر تاريخه اقلعاً ازعجه من العصر فريداً وطارت به النفرة الى ان حلّ براوية ابي الشتاء وحيداً فتلاصق به رماته الانكشارية ومتفرقة سماسرة الفتن وطلائع الشوم والخن جمع عظيم وعدد كثير بریم فبادرت حينئذ بتجهيز جوادر باشا من غير اغفال في خمسمائة صباحية ومعه القائد مؤمن بن ملوك في خمسمائة فارس ثم اردفناها ببعوث اخر تثال اليه وتناثلت عليه تناهز الالفين من رماة بابا زيدان حفظه الله فاذا هو قد احدثت به من كلّ الجهات وملكوا عليه الفجاج والشيئات ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفرة بالتسكين وما يخشى من احواله بالتلقين بارسال المرابطين بمواثيق تهنيه وعهود تونسه وتقرب امانيه رجاء ان ينوب اليه نائب الاستبصار ويخطر له خاطر اقلاع عمّا هو عليه واقصار وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر ناراً ويزينوا له عقوقاً ونفاراً فدهمتهم بعد ذلك عساكرنا المظفرة بالله في مصافهم دونه ودارت بين الفريقين حرب عظيم فخدمت النار من وقت الظهر الى اوان العصر فاظهر الله فئة الحق على فئة الباطل وقضى بما جرى به القضا المحتوم الحاكم العدل وكتبناه اليكم وقد حصل في القصة كما سبق به القضاء والقدر واجبر بمكان الاحتياط عليه بمكناسة الزيتون فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والعبر وعرفناكم اسعدكم الله لتشعروا صنع الله في هذه الداهية التي نجات بها الايام ودهمت والمفاجاة التي اعتكرت وادهمت وتقدرُوا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ونشكره فهو الجدير بحسن حمد كل انسان وشكره ولسال الله تعالى ان يجعلنا في حيز الكفاية وجانب الوقاية حتى لانساوا بقريب مامون ولا ببعيد مظنون وفي ليلة الثلاثاء موافق

عشرين من جمادي الاولى عام احد عشر والف ووقفت على رسالة كتب بها المنصور اليه ايضاً في فاس مجيباً له عما كتب به اليه في شان الوباء لما ظهر بمراكش صانها الله هل يفر منه ام لا ونصّها من عبد الله تعالى المجاهد في سبيل الله الخليفة الامام امير المؤمنين ابي العباس احمد المنصور بالله ابن امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الشيخ المهدي ابن امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الشيخ القائم بامر الله الشريف الحسنّي آيد الله بعزير نصره اوامره وظفر عساكره واسعد بمنّه موارد ومصادره الى ولدنا الاجل الاعزّ الافضل الأبرّ الارضى الاكمل الاسعد الامجد الاحفل بابا ابي فارس وصل الله عنايتكم ووالى بمنّه رعايتكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فكتبنا هذا اليكم من حضرتنا العلية بالله المرينيّة البيضاء حاطها الله عن الخير والعافية ونعم الله تعالى المتوالية لله الحمد وله المنة وآته اتصل بعلّى مقامنا كتابكم الاعزّ عشية يوم الثلاثاء فكتبنا لكم صبيحة يوم الاربعاء ولولا آته وصل يوم الديوان هذا ما كنّا نؤخر كتب الجواب على ساعة وصوله في اليوم بنفسه حرصاً منّا بذلك على المبادرة بوصوله اليكم في الحين والى هذا اسعدكم الله أوّل ما تبادرون به قبل كلّ شئ هو خروجكم اذ لاح لكم شئ من علامات الوباء ولو اقلّ القليل حتّى بشخص واحد ويبقى في القصة وصيفنا مسعود والقائد محمد بن موسى بن ابي بكر واترك مائة رام تتقوى بها من رمايتكم مع اصحاب السقيف وتوكلوا على الله وتخرجوا بسلامة ثمّ لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرحلية والتغلب بها بل لاتزيدوا اذا خرجتم على المقام أكثر من يومين ثمّ اطوا المراحل الى ان تنزلوا سلا وتدخلوا بها دخول هناء وعافية ان شاء الله تعالى وهناك يكون لقاءنا بكم لقاء يمن وسعادة ان شاء الله ثمّ لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدكم الله فالزموه اذا استشعرت منكم بجرارة وتحوقموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه ولا تهملوا استعماله وآما ولدنا حفظه الله لما كان من سنّ الشيّة فحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق فهى

الشربة المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هنالك عند التونسى فيكون يستعملها هو والابناء الصغار المحفوظون بالله حتى اذا احسّ ببرد المعدة من اجسامها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعود اليها والله تعالى بفضله وبمحرمه صفوة خلقه خير البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم ويسبل عليكم من جميل كلاءته ورعايته حصناً منيعاً ويعافى البلاد والعباد بمنه وفضله والسلعة اسعدكم الله تبادرون بارسالها الينا وكذلك القائد مسعود النبيل تعزمون بارساله حيث امرناه بالقيام به من خندق الوادي في سوس وطريق تجبضشت اسعدكم الله ساقط ارضنا ان امرها يتم وقبل عقلنا الكريم ان اهل درن يتحدثون بسببها ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم ان شاء الله وانتم تحاولون اسعدكم الله على ان يكون سلوك الناس على طريق بويارن على العادة وان تجهدوا في ان تكون ان شاء الله سابلة اولائكم اعنى اهل طريق تجبضشت يبهكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلك البلاد ان شاء الله تعالى ومسالة ابيي التي كتبت لك من خندق الوادي على الزرع وانهم ما عندهم ما يكفيهم منه سوى شهر فلقد كتبنا لكم اسعدكم الله على حمل الزرع اليهم على البحر فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد باع اليهم وان لم يكن ذلك قد تيسر فلتامر ابيي هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء والزموه وعهدته وشددوا عليه في امره وخالنا القائد احمد بن محمد الذي استاذنكم على الخروج عن ذلك المرض من الحضرة الحمّدية فاذا تفاحش فلا عليه في الخروج ويلتحق باهل تلك الحلة بخندق الوادي ويترك في القصة الاندلس مع قائدهم ومسالة مؤمن بن منصور هكسمة الذي ذكرتم اسعدكم الله ان مؤمناً المذكور قد تناقل بدمتنا بسبب مرض الم به حتى جاء به شاوش وان اخاه ذلكم المفسود بعث اليه ليلتقى معه بتامصلوحت فعلى بركة الله تعالى والحاضر بصير وهذا موجه اليكم والله يصل بمنه رعايتكم والسلام وفي يوم الاربعاء الرابع عشر من ربيع الاول المعظم عام احد عشر والف وبعد ان كتبنا لكم هذا بلغنا كتابكم ونحن نحبيكم

على كل ما يحتاجون الى الجواب عنه والبراءة التي ترد عليكم من سوس من عند الحاكم او من عند ولد خالككم او من عند غيرهما لا تقرأها ولا تدخلها داراً بل تعطيا لكتابكم هو الذي يتولى قراءتها ويعرفكم مضمونها ولاجل ان الكاتب يدخل عليكم ويلابس مقامكم فلا يفتحها الا بعد ادخالها في خلّ ثقيف وتنشر فتيسر وحيشذ يقرأها ويعرفكم مضمونها اذ ليس ياتيكم من سوس والله سبحانه وتعالى اعلم بموجب الكتمان عن مثل كتابكم وقد طالعا كتاب ولد خالككم احمد بن محمد الصغير وصحّ عندنا من بحر كلامه ما ذكرتم عنه من انه كثر خبر الوباء ليجد ذريعة للخروج من سوس والذي تأمرونه به انكم تحذرونه من القدوم عليكم لمراکش وان ذلك لا يرضينا منه وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير امرنا لاسيما مع غيبتنا عن البلد وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ثم لا يعود اليها ابداً الا ان تفاحش المرض بتكمم الناحية فلا عليه في الخروج والتقلّ قرب البلدان يلتحق بمحلة اصحابه الذين بخندق الوادي واما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن الوردی فقد طالعا الجريدة التي جرد لكم وتصفّحناها وراينا ان جلّ ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا والذي نأمركم به في مسالته انكم تحاولون في رده لموضعه كانه بذلك الموضع اليق من اخيه بكثير وكلّ ما يمكنكم من اغراضه المسطرة بجريدته ان تقضوه فاقضوه له وما لا يمكنكم عدوه به عند قدمنا ان شاء الله واما امر اخي احمد بن الحسن الذي عيناه بحياته درعة وذكرتم انه غير لاحق بها وانكم استصغرتموه عن تلك العمالة فلا شكّ انه كما ذكرتم لكن اتما وقع الاختيار عليه لامرين الاول الذمة لانه بماله فلا يخشى ان شاء الله على مالنا الثاني ان خراج درعة سهل معلوم ولعله يكره هذه الولاية ويحبّ الجلوس بداره ويفرى من يتكلّم فيه عندهم فان كان من ذكره عندهم مثل مسعود اوتادي فاتهمهم وقد طالعا جريدتكم وانكم وجهتم مع زرع المعاصير مائة رام وهذا الذي ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط واما كتبنا لكم على الزرع تحملونه في البحر ذمة المحلة التي هنالك

بمخندق الوادي فان كان هو هذا فنحن اردناه للمحلة وان كان غيره فعرفنا بقضيته فان زرع المعاصر اما يلزم اليهود والنصارى وفيها ايضاً ما اخبركم به احمد بن محمد بن موسى بنجر ما سقط من القنطرة وانكم غنقتموه على عدم المبادرة وقد اشكل علينا الامر كونكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم او من هذا الاصلاح الذي امرنا به فعرفنا لكون على بصيرة من ذلك وفيها ايضاً مسألة اولاد طلحة فدبروا عليهم اماما عند ايسى او غيره حتى لا يرجعوا اليها شاكين وولد ابراهيم بن الحداد الى الان لم يصل وزمام الاسارى وصل واما الدرقة التي ذكرت بها المعتلة المعدة لها عند صاحب بيت ثيابنا فوجه ليوسف العبدى حتى تكلمه ومره يخرجها من عندها وركبها في موضعها ولا تركب التي عندهم بل امسكوها لانفسكم واعلم اني تركت عند اولئك المعلمين اعنى بركاض السلاقي برسم ابنتا العزيزة طاهرة صانها الله وكلاها وحيث فرغوا من الدرقة اجتمعهم عليهم كي نجد ذلك طالعا ان شاء الله فانا قد امرنا بنسج دراريع تلك السلاقي هنا والمراد ان نجد السلاقي قد فرغ منهم ان شاء الله وقصر الحيل مع الحماة حرص المعلمين على المبادرة باشتغالهما وحاول ان يسقفوا تلك انبلاط الذي يوالي سور القصبة من قصر الحيل والقبّة التي فيها لنجدوه كاملاً ان شاء الله عند قدومنا عليكم حتى سوارى الرخام ركبهم في تلك الجهة اذا سقتم ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الاشغال في الموضعين المذكورين واوصيكم اعزكم الله ان تتفقدوا فرسنا الاحمر الصغير ولا تركوهم يعطونه الفصيل لثلاً يكثر لحمه ويزاد الله بل انظر له من يركبه كل يوم بل لا ينزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله واعطوه لصاحب المسرة يركبه في ذهابه وايابه للمسرة او لداره واوصوه الا يركبه غيره وان لا ينزل عن ظهره النهار كله واوصيكم ايضاً اذا ظهر المرض بتلك البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته الا تركوا وراءكم ابنة عمكم والدة ولدنا العزيز بنت عبد المالك حفظه الله وامر يوسف العبدى ان يخرج لك من عند صاحب بيت الثياب القدر

المحتاج من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشور ودخل على ايديكم لدارنا السعيدة واستدعوا أم المان قهرمانية الدار واعطه لها برسم دارنا وامرها ان تعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذي ياكلونه فيه وهي ايضاً تاكل منه والعبد ييوسف ياكل ايضاً منه وحتى صاحب السقيف اعطوه منه اعنى مسعود بن مبارك والله سبحانه يرعاكم ويتولي حفظكم اتم واوالادكم وقد استودعناكم الله الذي لا يضيع ودائعه واتم في امان الله وحفظه والله تعالى خليفتي عليكم اتم في يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته ونسلم على ولدنا الاعز الارضى بابا عبد المالك وعلى ابنتنا المرضية سيدة الملوك ونحن في غاية الاشتياق والتوحيش اليكم جمع الله الشمل بكم امين بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله خير آل

ذكر الخبر عن وفاة المنصور

رحمه الله وكيفيتها

كان ابتداء مرض المنصور رحمه الله بمحلته في ظهر الزاوية موضع بظاهر فاس الجديد قريب منه يوم الاربعاء الحادي عشر من ربيع النبوي الانور المبارك من عام اثني عشر والف فدخل في محلته راجعاً الى فاس الجديد والتزم الفراش الى يوم الاثنين الموالي لتاريخه فتوفي رحمه الله ودفن يوم الاثنين عند صلاة العصر وكانت وفاته بالوباء قال الشيخ سيدي عبد الرحمن بن يعقوب السملالي في شرحه للجامع شامل بهرام كان بالمغرب وباء استطال وطال من عام سبعة والف الى عام ستة عشر والف وعم سهل المغرب وجباله حتى افنى اكثر الناس ومات جمع من الاعيان وبه مات السلطان ابو العباس احمد المنصور عام اثني عشر والف ونحو هذا ذكر صاحب الفوائد وغيره وبه يعلم ان ما

شاع على اللسنة من أنّ المنصور سمّه ولده زيدان بإشارة من أمّه الشبانية في باكورة أول ظهوره وقطع عنه الاطباء الى ان هلك وإنّ المنصور لما احسّ بذلك قال له استعجلتها يا زيدان لا هناك الله فيها او كلاماً هذا معناه قالوا وبسبب ذلك لم تنصر لزيدان راية فاته هزم في زهاء سبع وعشرين معركة لا اصل له وهو كذب محض لأنّ المنصور طعن بالوباء ولم يذكر احد ممن يوثق به ذلك بل انما شاع ذلك على السنة العامة واضرابها من الطلبة ولما توفي المنصور رحمه الله ودفن بعد صلاة العصر من يوم الاثنين بفاس العليا ونقل بعد ذلك لمراكش فدفن بها في قبور الاشراف وقبره شهير هنالك عليه بناء جميل ومما نقش في رخامة على قبره هذه الابيات

هذا ضريح من غدت	به المعالي تفتخر
احمد منصور اللوا	لكلّ مجد مبتكر
يا رحمة الله اسرعي	بكلّ نهر تستمر
وباكر الرمس بها	انّ رضاه منهمر
وطيّبي ثراه من	ندّ كذكره العطر
وافق تاريخ الوفا	ة دون تقييد ذكر
مقعد صدق داره	عند ملك ممتدر

ورأيت في بعض المقيّدات ان بعضهم رأى المنصور في المنام بعد وفاته فسأله ما فعل الله بك فاجابه بهذين البيتين ولم يذكرهما فقال صاحب كتاب الاصلية كنّا نسمع انّ السلطان المنصور اذا خرج من مراكش قاصداً مدينة فاس فاته لا يرجع لمراكش وشاع هذا الخبر في الناس وذاع فكان الامر كذلك ثم لا ادري من اين للناس بذلك هل انطقهم الله به واجراه على السنتهم او عن علم تلقّوه عن اربابه وكأنّ الاشبه والله اعلم قال ومن هنا ما ذكر بعضهم ايضاً

لكن بعد الوقوع والنزول ان دخول راية السلطان ابي العباس في حياته للسودان واستيلائه على سلطانها سكية في دار امارته كانوا مع تينبكت باعمالها كل ذلك من امارات قرب خروج الامام الفاطمي المهدي وكذلك الوفاء في بعض هذه الاعوام وكثرة الهرج والغلاء في سائر البلاد حتى الان وبقي من امارات خروجه فيما نسمع فتح وهران اما على يده او عن اذنه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الامر وبمثل هذا الاساطير قد يفتن الغرير وليس الخبر كالمعاينة عند البصير ونعوذ بالله من اخذ فاس كما يقوله بعض الاخباريين من الناس وقد ادهش الاسلام اختلاف الملوك من بني احمد المنصور لانهم قالوا ذلك من كبار الاعلام وامير التهام والتخمين مردود وعلم الحقيقة مفقود والسباب مسدود والمفتاح غير موجود والامر المحتوم المعهود للملك الحق المعبود

ذكر الخبر عن تنازع اولاد السلطان ابي العباس المنصور

على الملك وما وقع بينهم في ذلك من التهاك والهلك

لما توفي المنصور رحمه الله وفرغ من دفنه اجتمع اعيان فاس وكبرائها واهل العقد والحل فيها على بيعة ولده زيدان وقالوا ان المنصور خلفه في حياته ومات في حجره وثمان تصدّر لذلك قاضي الجماعة ابو القاسم بن ابي النعيم الغساني بفاس والفقير ابو الحسن علي بن عمران السلاسي والاستاذ سيدي محمد الشاوي والشيخ النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار ويحكى ان القاضي المذكور قام في الناس خطيباً وقال اما بعد السلام عليكم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على ابي بكر الصديق رضى الله عنه ونحن كذلك نفعل فقد مات مولانا احمد رحمه الله وهذا ولده مولانا زيدان هو اولى بالملك من اخوته فبايعه فبايعوه الحاضرون وكانت مبايعته يوم الاثنين السادس عشر من ربيع

الأول النبوي سنة اثنتي عشرة ألف ثم كتب أهل فارس لأهل مراكش بالمبايعة لزيدان فامتنعوا منها وبايعوا أبا فارس بمراكش يوم الجمعة الموالي للتاريخ المذكور واسمه عبد الله وكنيته أبو فارس ويلقب من الألقاب السلطانية الوائق بالله وكان عظيم البطن أكولاً مصاباً بمس الجن ويقال أنه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ العارف بالله أبي العباس السبتي وشيد بناءه وشحن الحزانة التي بقبلة الجامع المذكور بنفائس الدفاتر وتحف الكتب كل ذلك رجاءً أن تعود عليه بركة ذلك الولي بالبرء من تلك العلة وتقدم أن أمه اسمها الجوهر ويقال الخيزران وذكر في المنتقى إبياتاً من انشاء الكاتب عبد القادر بن أحمد بن بالقاسم الفشتالي مما كتب تطريزاً على نجاد الوائق بالله مولاي أبي فارس المذكور وهي هذه بنصها

اتيه وازري بكل نجاد	يروق على حلة اللابس
إذا كنت يوم الوغى محملاً	بعضب حكي شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى	سليل الوصي أبي فارس

وبعد امتناع أهل مراكش من بيعة زيدان ووقوع بيعتهم لأبي فارس كثر في ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضي فارس ومفتيها تصريحاً بحديث إذا بويع الخليفين فاقتلوا الآخر منهما وكان زيدان لما توفي أبوه كتم موته وبعث من يقبض له أخاه الشيخ المسجون بمكناسة فنعه من ذلك الباشا جودر وحمل الشيخ موثقاً إلى مراكش فدفعه لأخيه أبي فارس شقيقه فلم يزل مسجوناً عنده هكذا ذكر بعضهم وقال في شرح زهرة الشماريخ في علم التاريخ أن زيدان لما اشتغل بدفن والده تحيل القائد أحمد بن منصود العليج فذهب بنصف المحلة وخرج قاصداً مراكش وسرح الشيخ من اعتقاله وذهب به إلى أخيه أبي فارس فسجنه فلم يزل مسجوناً عنده إلى أن بعث الباشا جودر لمقاتلة

زيدان لفاس فلما بلغ زيدان وادي أم الربيع سرح الشيخ من سجنه وقال له ولاصحابه جدوا السير الليلة حتى تصبحوا محلة جودر بأم الربيع وكان أبو فارس جهز جيشاً لمقاتلة زيدان وأمر عليه ولده عبد المالك مع الباشا جودر فقبل له أن أخاك زيدان رجل شجاع عالم بمكائد الحروب وخدائهم وأن ولدك عبد المالك لا يقدر على مقاومته فلو سرحت أخاك الشيخ لكان أوثق للامر لأن أهل الغرب يميلون له ولا يقاتلونه لأنه كان الخليفة عندهم فاطلقه أبو الفارس من ثفاف السجن وتعاهد معه على النصيحة والطاعة وعدم شق العصا عليه وبشه في ستاية من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليعث منهم إلى كاغوا من عمالة السودان فلما بلغ الشيخ محلة عبد المالك وعلم الناس به هرعوا إليه واظهروا الفرح به وكانت الملاقاة بينه وبين زيدان في موضع يقال له مواتة من وادي أم الربيع فانهزم زيدان وخدله أكثر جيشه ورجعوا مع الشيخ وكرّ زيدان منقلباً إلى فاس وكان أبو فارس أوصى أصحابه بالقبض على الشيخ أن وقعت الهزيمة على زيدان فلما وقعت الهزيمة على زيدان انزل الشيخ بمن تبعه من أهل الغرب فلم يقدر له أحد من أصحاب أبي فارس على شيء ثم توجه الشيخ إلى فاس متبعاً أثر زيدان فلما بلغ زيدان فاساً وراود أهلها في الحصار والدفع امتنعوا عليه وجأهروا بنصر الشيخ وأعلنوا ببيعته والأذعان له فخرج زيدان عنهم بحشمة وأثقاله قبعه جيش عظيم من أصحاب أبي فارس فلم يقدروا له على شيء وذهب زيدان قاصداً إلى تلمسان حتى وصل وجدة أقام بها مدة ثم رجع لسجلماسة ثم لدرعة ثم للسوس ودخل الشيخ لفاس وتلقاه أهلها ذكوراً وإناثاً واظهروا الفرح لقُدومه فدعى لنفسه واستبد بالملك وأمر جيش أهل مراکش أن ينقلبوا إلى بلادهم فذهبوا وكان الشيخ لما تم له غرضه من الاستبداد بالخلافة والأفراد بالسلطنة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة بفاس أبي القاسم بن أبي النعيم ومفتيها أبي عبد الله محمد بن قاسم القطار فلامهما على مبايعة زيدان وقواهما فيه وفي أخيه أبي فارس أن أولاد الإمام لا يتقدمون على

اولاد الحرائر وكان ابو فارس والشيخ ولدي امة اسمها الخيزران ويقال الجوهر
وزيدان امه حرة شبانية وعزم ان يكرر بهما ثم بعث بهما مع جيش مراکش
الى اخيه ابي فارس لينظر فيهما برايه فاما الشيخ القصار فتوفي رحمه الله في
الطريق على مقربة من مراکش فدفن بقبة القاضي عياض وذلك اواسط
اثنى عشر والى الف واما القاضي ابو القاسم بن ابي النعيم فاجتمع بابي فارس فصطح
عنه وقبل عذره ورده مكرماً الى فاس هكذا ذكر بعضهم وقيل ان الذي
بعث للشيخ القصار هو زيدان على وجه يخالف هذا والله اعلم ثم ان الشيخ
اشتغل بالقياد من اصحاب ابيه فنهب ذخائرهم واستصفي اموالهم وعذب من
اخفى شيئاً من ذلك ودعى بالتجار فاستسلف منهم واظهر من الظلم وسوء
السيرة وخبث السريرة ما هو شهير به ثم انه جهز جيشاً لقتال شقيقه ابي فارس
بمراكش وكان عدد الجيش نحواً من ثلاثة الاف وامر عليه ولده عبد الله فصار
بجيشه فوجد ابا فارس بمحلاته بموضع يقال له اكليم ويقال في مرس الرماد
فوقعت الملاقاة بينهما واقتتلا قتالاً شديداً كانت الهزيمة فيه على ابي فارس
وقتل من اصحابه نحو الماية ونهبت محلاته وفر هو بنفسه الى مسفيوة ودخل
عبد الله بن الشيخ مراکش فاباحها نهباً لجيشه فنهبت ديارها واستبيحت
محارمها واشتغل هو بالفساد ومن يشابه اياه فاطلم حتى يحكى انه زنى بجواري
جده المنصور واستمتع بحظاياه واكل رمضان وشرب الخمر فيه جهاراً وعكف
على اللذات والقي جلباب الحياء عن وجهه وكان ذلك كله في العشرين من
شعبان عام خمسة عشر والى الف ثم ان زيدان كان لما هرب من فاس حسباً بيناه
قبل قصد تلمسان فلم يزل مقيمياً بها وكان بعث الى ترك الجزائر ليستعين بهم
على اخوته فابطنوا عليه وطال عليه انتظارهم فلمسا يؤس منهم توجهه الى
سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة ثم انتقل منها الى درعة ومن
درعة انتقل الى سوس كما سلف فكتب اليه اهل مراکش ان ياتيهم ولو
وحده فتوجه اليهم فقدم عليهم ليلاً فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ الا

نداء اهل مراكش بنصر زيدان وتحزب اهل مراكش مع زيدان وقتلوا قائد الشيخ وهو عبد الله اعراض وخرج عبد الله بن الشيخ بجيوشه فحاصرهم اهل مراكش بين اسوار الاجنة فقتل بموضع يعرف بجنان بكار من اصحاب عبد الله بن الشيخ نحو الخمسة الاف وخمسمائة وامر زيدان بقتل من تخلف عن عبد الله من جيوشه فقتل من وجد من جيوش اهل فاس بمراكش ثم ان عبد الله ذهب مهزوماً ولما دخل على ابيه الشيخ مفلول العساكر مهزوم الجموع غاظه ذلك واحزنه ما راي فرام ان يهيء عسكرياً اخر ويجدد جمعاً ثانياً فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من الاموال وقلة ذخائره واستحيى ان يستسلف من التجار لانه كان تسلف منهم فلم يرد لهم ما تسلف منهم فلما راي ذلك قلب لقياده ظهر الحن وعكس لهم القضية فهرب اموالهم واستسلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار فجمع في ذلك اموالاً عريضة وفرقها على الجيش وتهيأ عبد الله للمسير لمراكش وكان اهل فاس قد غضبوا لما قتل منهم بمراكش ما قتل ونادوا باخذ ثارهم حتى ان بعضهم خرج مع عبد الله بن الشيخ من غير اخذ راتب ولا جامكية فخرج عبد الله بن الشيخ من فاس بجموع عديدة وجيوش حافلة مديدة ولما بلغ خبره زيدان وهو بمراكش بعث للقاءه الباشا مصطفى في جيوش كثيرة من اهل مراكش ونواحيها فالتقى الجمعان بموضع يقال له وادي تفلفلت على طريق سلا فكان بينهما قتال عظيم وقعت الهزيمة على مصطفى فقتل من جيوش مراكش نحو التسعة الاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس لموضع المعركة حتى احصوا القتلى ثم توجه عبد الله لمراكش فخرج له اهلها في نحو ستة وثلاثين الف مقاتل فالتقى الجمعان ايضاً بموضع يقال له راس العين فانهمز اهل مراكش وفر زيدان منها الى المعقل المنيع والحيال الشاخنة ودخل عبد الله لمراكش ايضاً ولما دخل عبد الله مراكش فعل في المدينة اعظام من فعلته الاولى وهرب شرذمة من اهل مراكش الى جبل جيلز واجتمع هنالك منهم عصابة من اهل الحمية والنجدة والنفوسية فلما

اجتمع منهم من ذكر اجمعوا رأيهم على ان يقدموا للخلافة عليهم مولاي محمد ابن مولاي عبد المومن ابن السلطان مولاي محمد الشيخ المهدي وكان رجلاً ديناً خيراً صيناً وقوراً مهيباً فبايعه اهل مرآكش هنالك فخرج عبد الله بن الشيخ الى مقاتلتهم بجبل جيلز واخذ اميرهم المذكور فلما التقى الجمعان وقعت الهزيمة على عبد الله وولى اصحابه الادبار فخرج من مرآكش مهزوماً واستولى محمد بن عبد المومن على المدينة وصفح عن الذين تخلفوا من اهل الغرب من جيش عبد الله وأعطى الراتب فلم يعجب ذلك اهل مرآكش وعنفوا عليه استيفاء عليهم وكانوا نحو الالف ونصف فكتبوا سرّاً الى زيدان فاتاهما وخيم نازلاً على المدينة فخرج محمد بن عبد المومن الى لقائه فالتقيا وكان بينهما حرب شديدة هزم فيه ابن عبد المومن ودخل زيدان الى مرآكش وصفح ايضاً عن الفئة المختلفة عن عبد الله بن الشيخ وذكر في شرح زهرة الشماريح ان هذا الثائر المبايع بجبل جيلز اسمه ابو حسون من اولاد السلطان ابي العباس احمد الاعرج المتقدم الذكر قال وكان بعث مصطفى وخرجوه من مرآكش في شعبان عام ستة عشر والف قال وكانت الهزيمة على عبد الله بن الشيخ سادس شوال من السنة فخرج هارباً وترك محبته وانفاضة وعدته وجلّ الجيش وخرج على طريق تامسنا وامتحن اصحابه في ذهابهم حتى كان مدّ القمح عندهم بثلاثين اوقية والحبة من نصف رطل بربع مثقال ولم يزل اصحابه ينهبون ما يمرون عليه من اهل الحيام واهل العمود ويسبون البنات وكان وصولهم لفاس في الرابع والعشرين من شوال السنة ثم في اخر ذي الحجة من السنة حرك عبد الله ايضاً قاصداً لمرآكش فالتقى الجمعان بوادي بوركرآك فهزم عبد الله وفرّ في رهط قليل من اصحابه وترك محبته فغنى زيدان عن الناس وكان ذلك في شوال عام سبعة عشر والف ثم بعث زيدان الباشا مصطفى امامه لفاس فبلغها ونزل عليها فخيم بظهر الزاوية ووجد لاصحابه زروعاً كثيرة ففرّقها مصطفى في اصحابه ثم ارتحل مصطفى ينوي القبض على الشيخ وولده

عبد الله وابي فارس وولده عبد المالك اذ كانوا كلهم بالقصر الكبير فلما بلغ الشيخ خبره ركب البحر من العرائش مع قواده ووالدته فقبض مصطفى على من وجد بالقصر الكبير من اصحابهم وفرّ عبد الله وابو فارس فنزلا بموضع يقال له سطح بنى وارثين فبلغ خبرها زيدان فقدم ونزل قبالتها بموضع يقال له اروارارت ففرّ الحيش عنهما الى زيدان وهرب عبد الله وابو فارس حتى وصلا لدار ابن مشعل فلم يزالا بها الى ان رحل زيدان لمراكش بسبب ما بلغه من ثوران بعض القيام هنالك فقدم حينئذ عبد الله وابو فارس من دار ابن مشعل قاصدين فاس فخرج مصطفى لمقاتلتهما فتقاتلا قتالا طويلاً فعثر به فرسه وسقط عنه فاخذ وقتل ومات معه ما لا يحصى من الناس واخذت محلته باسرها ووقع النهب حتى انتهت من البقر التي للبانة نحو الستة الاف فدخل عبد الله مدينة فاس مع عمّه ابي فارس وكان ذلك كلّه سابع ربيع الثاني عام ثمانية عشر والف

ذكر الخبر عن مقتل ابي فارس

وبقية من اخباره

كان ابو فارس لما هزمه زيدان اولاً فرّ الى السوس فاقام به عند صاحب ابيه عبد العزيز بن سعيد ثمّ لما بالغ زيدان في طلبه فرّ الى اخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ الى ان قتل عبد الله مصطفى ودخل مدينة فاس واستولى عليها كما ذكرناه قبل آنفاً فاتفق راي قواد الشراقة على قتل عبد الله وتولية عمّه ابي فارس فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمّه ابي فارس ليلاً مع حاجبه حمّ بن عمر فوجده على سجادة وجواريه حوله فاخرجهم وامر بعمّه فخنق وهو يضرب برجليه الى ان مات وذلك في جمادي الاولى

سنة ثمان عشرة والـف فاسف الناس عليه لآته كان يرده عن كثير من القبائع
وينهاه عن فعل المناكر ولا يرضى منه افعاله الخيثة والحول والقوة بالله والامر
الى الله

ذكر الخبر عن السلطان الشيخ بن المنصور

وما وقع الى حين خلعتة وقتله

كان من خبر الشيخ ما انتهى ذكرنا له قبل وانه هرب الى العرائش ومنها
توجه الى العدو من ارض العدو مستصرخاً بطاغية الروم دمره الله فابي
ان يمدّه فراوده على ان يترك عنده اولاده وحشمه رهناً ويعينه بالمال والرجال
فلم يكثر به الى ان شرط عليه ان يخل العرائش من المسلمين ويملكها للنصارى
فقبل الشيخ ذلك والتزمه وخرج حتى نزل حجير بادس وذلك في ذي الحجة
عام ثمانية عشر والـف فاقام بها مدة وكان الشيخ لما خرج في حجير بادس
ونزل بلاد الريف ذهب علماء فاس واعيانها كالفقيه القاضى ابي القاسم بن ابي
النعم والشريف الوجيه المنيّف التزيه ابي اسحاق ابراهيم السقلى الحسنى وغيرها
لملاقاته وتهنئته بالقدوم فلما بلغوه فرح بهم وامر قطان النصارى ان يضرب
بانفاضة ارهاباً واضهاراً لقوة النصارى الذين استصرخ بهم فضربها حتى اصطكت
الاذان وارتمت الجبال ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان فلما
راوه مقبلاً امرهم الشيخ بالقيام له فقاموا له اجمعون وجازوه خيراً على ما
فعل بالشيخ من الاحسان والنصرة وسلم هو عليهم بنزع قانسوته كعادة
النصارى وانكر الناس على اولئك الاعيان قيامهم للكافر وضربوا بعضا الذلّ
والهوان من الملك الديان حتى اتهم في رجوعهم لفاس تعرض لهم عرب
الحياينة فسلبوهم واخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعاً ما عدى